

الهوية الثقافية في ظل الإعلام الرقمي دراسة تحليلية لعينة من صحف الواب الجزائرية

د. بورقعة سميرة

أ. عقبة سعيدة

جامعة عنابة

الملخص:

تهدف الدراسة الحالية إلى تحليل مضامين الصحف الإلكترونية الجزائرية المعالجة لمواضيع الهوية الثقافية الجزائرية، ومدى إستفادة إعلامنا الجزائري من هذه البيئة الرقمية للتعريف والحفاظ على هويتنا الأصيلة بكل مظاهرها سواء " عادات، تقاليد، فنون، ...الخ.

متخذة من صحيفتي الشروق أون لاين، والنهار أون لاين عينة للدراسة باعتبارها أكبر الصحف الجزائرية قراءة حسب المواقع العالمية.

الكلمات المفتاحية: الهوية الثقافية، الإعلام الرقمي.

Abstract:

The aim of this current study is to analyse the contents of the treated algerian electronic news papers, concerning the algerian cultural identity, and the extent of benefits that takes the algerian medias from this electronic environnement to define and preserve our identity and our inherent legacy with all its aspects, traditions, arts....etc

Using the two papers el-chourouk online as a sample for my study concidering these latter the most popular algerian news papers according to worldwide websites.

Key words : cultural identity, electronic information

مقدمة:

يعيش العالم اليوم عولمة تكنولوجية شرسة في ظل الإعلام الرقمي الأكثر حداثة والجزائر ليست بمنأى عن هذه التأثيرات التكنولوجية التي مست جميع مجالات الحياة من مجال سياسي، اقتصادي، اجتماعي ثقافي إذ يشكل هذا الأخير خطورة تهدد الهويات الثقافية لتلك الدول أفرادا كانت أو جماعات إذ تعتبر الهوية الثقافية شخصيته وبطاقة تعريفه من خلال ما تحويه من تراكمات معرفية سواء انطلاقا من الدين أو العادات والتقاليد التي ساهمت في تكوينه وانتمائه لوطنه .

وتجدر الإشارة إلى أن تكنولوجيا الإعلام والاتصال مصدر هام من مصادر التنشئة الاجتماعية إذ حلت محل الأسرة لانتشارها واستعمالها الواسع من تعليم البحث العلمي العلاقات الاجتماعية الإعلام .. إلخ ولتفعيل دورها الإيجابي في ظل هذا الإعلام الرقمي اللا متجانس والذي يحمل العديد من الهويات الثقافية العالمية التي تجلت مظاهرها المغايرة لثقافتنا العربية المسلمة من سلوكات، ألبسة، موضة ممارسات جديدة .. إلخ دخيلة ومغايرة لمرجعيتنا ساهمت حقيقة هذه التكنولوجيا الكونية في حضورها بيننا في الزمن ذاته وبسرعة فائقة ارتباطا بمزاياها المحسدة خاصة في الانترنت جاءت دراستنا هذه باحثة في التساؤل الرئيسي التالي:

ما مدى مساهمة الإعلام الرقمي الجزائري في الحفاظ على الهوية الثقافية؛ متخذة من الصفحات الثقافية للصحف الإلكترونية الجزائرية عينة للدراسة الحالية .

الإشكالية:

يشهد العالم في السنوات الأخيرة جملة من التحديات المعلوماتية ذات أبعاد مختلفة في كافة الوسائل الإعلامية، والتي مستها موجة الرقمنة. وقد تميز عصرنا الحالي بالعديد من مظاهر التحول التكنولوجي الذي يشمل مختلف الميادين العلمية وفي

مقدمتها مجال السمع البصري، ولعل أهم إنجاز استفادة منه الجزائر مؤخرًا هو إدخال الصحافة المكتوبة الجزائرية المجال الإلكتروني، مما سهل أكثر الجانب المعرفي، وسير الرفع من مستوى ثقافة ووعي الجماهير، وتعريفه بمجالات الحياة، والعالم الخارجي ومجرباته، فتوسعت المعلومات عن ما يحيط بنا. فهذا التطور التقني، والنتائج عن العولمة، فرض تطور للرسائل الإعلامية، وحتم على الجميع شعوبًا ودولًا التكيف معها، لكن بدوره خلق آثارًا سلبية. فمحمل المضامين الإعلامية لا تتماشى والخصوصيات الثقافية للأفراد والجماعات، فرغم ما وصل إليه العالم من تطور إيجابي، حيث أصبح الإعلام هو الفاعل، والقوة، ومختلف المحتويات الإعلامية أصبحت تؤثر تأثيرًا بالغًا لم يشهد العالم له مثيل، فتبوءت ثقافة الصورة والسرعة مكانة مرموقة، وأصبحنا نتحصل على كم وافر من المعلومات والمعارف على مستوى كل مجالات الحياة، فتكنولوجيا المعلومات أو المعرفة، مثلما أكد ذلك الباحث عبد العزيز بن عثمان " تمثل قوة الدفع للعولمة الثقافية" ⁽¹⁾.

حيث لم تعد الثقافة خاضعة لوسائل تقليدية في نشرها، بل تأثرت اليوم إلى حد كبير بتكنولوجيا الإعلام والاتصال، والتي أصبحت سلاحًا ذو حدين، فمثلما لديها آثار إيجابية، فكذلك استطاعت أن تخلق تحول ثقافي يعايشه الأفراد في ظل العولمة، حيث برزت ثقافات عديدة بفضل الإشكال الثقافي، لكن ثقافة الأقوى اقتصاديا وعلميا وتكنولوجيا... إلى غير ذلك، هي المهيمنة، فبرزت ثقافة دخيلة، سببت تهديدات ومخاطر على الهوية الثقافية للأفراد والجماعات. والتي تمثل "المبادئ الأصلية السامية والذاتية النابعة من الأفراد والشعوب، وتلك ركائز الإنسان التي تمثل كيانه الشخصي الروحي والمادي يتفاعل صورتي هذا الكيان لإثبات هوية أو شخصية الفرد أو المجتمع أو الشعوب، بحيث يحس ويشعر كل فرد بانتمائه الأصلي لمجتمع ما، يخصصه ويميزه عن باقي المجتمعات الأخرى، والهوية الثقافية تمثل كل الجوانب الحياتية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية. والمستقبلية لأعضاء الجماعة الموحدة التي ينتمي الأفراد بالحساء والشعور الانتمائي لها. وأيضًا هي ذاتية الإنسان ونقاءه وجمالياته وقيمه، بحيث تعتبر الثقافة هي المحرك لأي حضارة أو أمة في توجيهها وضبطها أي هي من تحكم حركة الإبداع والإنتاج المعرفي." ⁽²⁾

فالهوية الثقافية تشير إذن إلى إحساس الفرد بذاته، وب نفسه عضوًا، فهمي ماضي الفرد والمتجسد في تاريخه، وحاضره الذي يعايشه أنيا ومستقبله الذي ينتظره، فمحمل التراكمات التي عايشها الفرد من عادات وتقاليد تشكل انتماءه لوطنه الأم، ودينه... إلخ. وفي هذا السياق أصبح من اللائق وجود وسيلة بديلة تعمل على الحفاظ على الهوية الثقافية للأفراد، وكدعيمة رئيسية بإمكانها المساهمة في هذا هي تكنولوجيا الإعلام والاتصال التي لعبت دورًا رئيسيًا في التأثير على اتجاهات ومعارف وسلوكيات الأشخاص. فالتفاعل الذي خلقه الإعلام الإلكتروني له أثر بالغ على حرية الأفراد الجماعية، ولما لموضوع الهوية الثقافية من أهمية بالغة ارتأينا تسليط الضوء عليه من خلال الصحافة الإلكترونية الجزائرية بدءًا بطرح التساؤل المركزي التالي:

إلى أي مدى يساهم الإعلام الرقمي الجزائري في الحفاظ على الهوية الثقافية للأفراد؟

اعتمادًا على المضامين الثقافية التي يحملها المركز الثقافي للصحف الإلكترونية الجزائرية كمجال للدراسة.

وقد اعتمدنا في دراستنا على كل من صحفيي: الشروق أون لاين. والنهار أون لاين.

كعينة، وذلك لمعايير هي: * الصفحات الثقافية.

* معيار المقروئية.

* معيار المشاهدة.

مفاهيم الدراسة: تعريف الهوية الثقافية:

الفرع الأول: تعريف الثقافة لغة واصطلاحات

أولاً: الثقافة في اللغة: تعني كلمة أو مصطلح "ثقّف" في اللغة العربية قَوْم الشيء، أي قَوْمه عندما كان معوجاً وغير سوي، فقال العرب "ثقفت الرمح" أي قومته⁽³⁾.

أي جعله على أحسن صورة. وأيضاً يأخذ هذا المصطلح معنى الإصلاح وإعادة الشيء على حاله وأيضاً التصحيح. ثانياً: الثقافة في الاصطلاح: أمّا في الاصطلاح فالثقافة هي ذلك التراث الحضاري ومنهجية التفكير وأسلوب العيش والمعاملة أي تلك الأمور التي تنطلق من ذاتية وشخصية الإنسان بما هو عليه من صفات كالخير والعدل، وتلك الطاقة العملية الكامنة التي تستخدم في مجالات الحياة، والتي تميز مجتمع عن مجتمع آخر.

الفرع الثاني: تعريف الهوية لغة واصطلاحاً

أولاً: الهوية في اللغة: يعني مصطلح "الهوية" الذات والأصل والانتماء والمرجعية. وهي مأخوذة من كلمة "هو" أي جوهر الشيء وحقيقته⁽⁴⁾، أي هوية الشيء تعني ثوابته وأيضاً مبادئه، ويكفي طرح السؤال التالي لبيان ذلك: من أنا؟ من نحن؟ من هو؟ وهكذا.

ثانياً: الهوية في الاصطلاح: تعرف "الهوية" على أنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب، أي تلك الصفة والثابتة والذات التي لا تتبدل ولا تتأثر ولا تسمح لغيرها من الهويات أن تصبح مكانها أو تكون نقيضاً لها، فالهوية تبقى قائمة ما دامت الذات قائمة وعلى قيد الحياة، وهذه الميزات هي التي تميز الأمم عن بعضها البعض والتي تعبر عن شخصيتها وحضارتها ووجودها.

الفرع الثالث: تعريف الهوية الثقافية

المقصود بالهوية الثقافية تلك المبادئ الأصلية السامية والذاتية النابعة من الأفراد أو الشعوب، وتلك ركائز الإنسان التي تمثل كيانه الشخصي الروحي والمادي بتفاعل صورتي هذا الكيان، لإثبات هوية أو شخصية الفرد أو المجتمع أو الشعوب، بحيث يحس ويشعر كل فرد بانتمائه الأصلي لمجتمع ما، يخصه ويميزه عن باقي المجتمعات الأخرى. والهوية الثقافية تمثل كل الجوانب الحياتية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية والمستقبلية، لأعضاء الجماعة الموحدة التي ينتمي إليها الأفراد بالحس والشعور بالانتماء لها.

وأيضاً هي ذاتية الإنسان ونقاءه وجمالياته وقيمه، بحيث تعتبر الثقافة هي المحرك لأي حضارة أو أمة في توجيهها وضبطها، أي هي من التي تحكم حركة الإبداع والإنتاج المعرفي⁽⁵⁾.

المطلب الثاني: ركائز الهوية الثقافية والعولمة

المقصود بركائز الهوية الثقافية تلك المقومات والأسس التي تمثل صلب الهوية الثقافية وموضوعها، وتلك العناصر الأساسية لها التي تمثل مظاهر الهوية الثقافية.

الفرع الأول: مقومات وأسس الهوية الثقافية تشمل مقومات الهوية الثقافية أسساً هامة في حد ذاتها هي موضوعاً لها وهي: أولاً: الإنسان بحيث يعتبر الإنسان هو المعنى بالهوية الثقافية، وهو المعنى بهذه الحياة، وهو محور وأساس الهوية الثقافية، لا غيره من الكائنات الحية الأخرى. بحيث أن الإنسان في حضارة الإسلام وفي تحقيق أهداف سعادته يجد انطلاقه في الآية الكريمة: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾⁽⁶⁾.

ثانيا: التوازن في الشخصية أي ذلك التوازن المادي والروحي للأفراد وللشعوب، بحيث يكون اعتدال وتوازن كفيل بالحفاظ على الحياة الطبيعية للفرد، دون تغليب حياة المادة على حياة الروح، لكي لا يكون هناك خللا في الشخصية أو في الذات، احتياطا لعدم تغليب كفة لكفة أخرى، بتغذية الإنسان ماديا بالأكل وروحيا بالعبادة.

ثالثا: الإيمان الحقيقي وذلك بإيمان أفراد المجتمعات بما يتماشى وحضاراتهم ومعتقداتهم ونمط حياتهم وإيمانهم بالانتماء لمجتمع ما في كل جوانب خصوصياته، كما هو في الإيمان في الأمة الإسلامية بالإيمان بالله والرسالات السماوية، فقيم المسلم مستمدة من وحي الله تعالى.

رابعا: النفس والروح الجماعية والأخوة والإنسانية: إن الإنسان بحاجة لغيره، وأنه بالطبع اجتماعي وإنساني، ليس فردي وذاتي وأناي، هو بحاجة للتعاون والتعامل وأن يكون عالميا بالحفاظ على شخصه وتفاعله مع غيره.

خامسا: القيم الثقافية، وهذا بتحميد القيم الحسنة والفاضلة، وحب العدل والحق والمساواة والتطلع إلى المفاهيم فوق الحسية لتشجيع الالتزام بالفضائل ومحاسن الأخلاق⁽⁷⁾، بالقضاء على الرذائل ومساوئ الأخلاق.

الفرع الثاني: عناصر الهوية الثقافية

تتجلى عناصر الهوية الثقافية في تلك المظاهر المهمة التي تمثل جوانب الهوية الثقافية بالنسبة للشعوب وللأفراد، وإن كانت تتمثل في الغالب في ثلاث عناصر متمثلة في عنصر العقيدة واللغة والتراث الثقافي.

وعليه يمكن تقديم أم العناصر الأساسية وهي:

أولا: العقيدة أو الدين يعد الدين أول عنصر من عناصر الهوية الثقافية، ولعل العولمة الثقافية منافية تماما للإسلام في إطار الحرب ضد الإسلام، وحرب الديانات. بحيث يدرك الغربيون الصليبيون والصهيونيون أن استعادة المسلمين لهويتهم وانتماؤهم القرآني أنه أكبر الأخطار وعليه فكل قوى التغريب تعمل ضد هذا الاتجاه، وذلك بأسلوب الغزو الثقافي المتمثل في الاستشراق والتنصير⁽⁸⁾.

ثانيا: اللغة تعد اللغة اللسان الثقافي الأساسي للهوية الثقافية للأفراد أو الشعوب، وهي عامل يبين اختلاف ثقافة عن أخرى، وهي أسلوب للتواصل وللاحتكاك وإثبات الهوية وتأكيد وجودها.

وقد جاءت نظرية صدام الحضارات لتعلن أن العدو الأول للحضارة الغربية هو الإسلام، وأن الثقافة الإسلامية المرتكزة على اللغة العربية ذاتها هي المنافس لتلك الحضارة⁽⁹⁾.

ثالثا: التاريخ والماضي: بحيث يمثل التاريخ والماضي المشترك للأفراد أو لشعب ما عنصرا يعبر عن هوية أساسية، فالتاريخ يبين حقيقة الاستعمار المتجدد في العولمة الثقافية، والتاريخ هو من بين عناصر الهوية، باعتباره يدرس الماضي ويقف على الحقائق وتستند إليه الدول والشعوب للتطلع لبناء الحاضر والتطلع إلى المستقبل.

رابعا: العادات والتقاليد والأعراف: هذه المجالات هي من صميم هوية المجتمعات من خلال إتباع سلوكات معينة والتصرف والتعامل وفقا لثقافة تنظمها العادات والتقاليد والأعراف.

خامسا: العقد الاجتماعي والعقد السياسي: بحيث أن لكل دولة عقد اجتماعي من خلال مبادئ وثوابت المجتمع فيها، وما يطابقه من تصور وطموح سياسي مبني في مرجعية العقد الاجتماعي، وخاصة أن الدولة تعبر عن هويتها الثقافية في المجتمع الدولي من خلال دستور أو قانون له الوجه الاجتماعي والسياسي، بحيث الإرادة الثقافية للأفراد تكون مكفولة في الوجه السياسي الذي يعبر عنها.

سادسا: الحقوق بحيث كل دولة أو شعب وكيف يرى ثقافته للحقوق والحريات المختلفة، ففي الإسلام تختلف الحقوق والحريات عن تلك الموجودة في الوضع الإنساني كالتى يصدرها الغرب إلى الدول العربية والفقيرة، من حقوق الإنسان المزيفة والديمقراطية الغربية، فثقافة حقوق وحريات الغرب هي ثقافة المادة لا الروح.

سابعا: الأدب والفنون: حيث كل مجتمع وله أدبه وفنونه التى يزخر بها، والتى تميزه عن غيره من المجتمعات والتى تكون معبرة عن هويته الثقافية، من خلال ثقافة التعبير القصصي والشعر، وفنون التشكيل والرسم والمسرح والتمثيل وفن العمران وغيرها، وكل له رسالة يريد إبلاغها للغير.

ثامنا: طريقة التفكير: يعد التفكير العنصر الحساس في أي ثقافة، فطريقة تفكير المسلم غير طريقة تفكير الغرب، فمثلا المجتمع المادي يفكر بطريقة مادية واستهلاكية. وهنا يتجلى المجال التربوي، فهناك التربية الدينية والتربية الروحية والتربية المادية وغيرها، ونفس الأمر بالنسبة إلى التكوين والتأهيل.

أداة جمع بيانات الدراسة: اعتمدت الدراسة الحالية على أداة تحليل وسيلة بحث غير مباشرة تستخدم في معالجة النصوص المكتوبة والأشرطة الصوتية والأفلام المصورة بغض النظر عن الزمن الذى تنتمي إليه.

أ- تحديد مصطلح تحليل المضمون:

إن كلمة تحليل تعني تفكيك الشيء إلى مكوناته الأساسية⁽¹⁰⁾. في حين تشير كلمة مضمون إلى ما يحتويه الوعاء اللغوي أو التسجيلي الصوتي أو الفلمي أو الكلامي أو الإيماني من معاني مختلفة، يعبر عنها الفرد في نظام معين من الرموز، لتوصيلها إلى الآخرين⁽¹¹⁾.

من أجل الوصول إلى المعاني المختلفة، التى تحملها المواد الإعلامية في أوعيتها المختلفة، لابد من القيام بتفكيك البناء المادي للمادة الإعلامية المدروسة (المبنى، الدال: Signifiant). وهذا وفق خطوات منظمة تتوخى فيها الدقة في العمل، من أجل بلوغ هذه الأجزاء المادية للمادة المدروسة كما عبر عنها صاحبها صراحة، ثم الانتقال إلى بحث المعاني (المعنى، المدلول: Signifié)، التى تحملها هذه البيانات المادية.

طبقا لذلك عرفت الباحثة نوال محمد عمر تحليل مضمون مواد الإعلام والاتصال، بأنه تفكيك ما ينتجه القائمون على وسائل الاتصال الجماهيري المكتوبة والمسموعة والمرئية من مضامين اتصالية متنوعة إلى أجزاء مادية، تسمح بكشف الرموز والصيغ المختلفة المستخدمة في التغيير عن القيم والأفكار المراد تبليغها إلى الآخر في عملية الاتصال، ولقد اعتمدت الدراسة الحالية على "وحدة الموضوع" والذي تعرف أيضا بوحدة الفكرة التى يدور حولها الموضوع. لذا تستخدم كوحدة عد في قياس الموضوعات، وكوحدة تسجيل في حساب الأفكار الخاصة بالأسباب والدوافع والآراء والتصرفات والقيم والاعتقادات والاتجاهات... إلخ. ووحدة الفكرة فقرة كاملة أو نص مستقل. وهي مرتبطة الظهور هنا حسب المستوى اللغوي، الذى يجري على أساسه التحليل.

عينة الدراسة: اعتمدت الدراسة الحالية على العينة القصصية والتى تعرف تحت أسماء متعددة. مثل العينة الفرضية⁽¹²⁾، أو العينة العمدية⁽¹³⁾، أو العينة النمطية⁽¹⁴⁾. وهي أسماء تشير كلها إلى العينة، التى يقوم الباحث باختيار مفرداتها بطريقة تحكمية لا مجال فيها للصدفة، بل يقوم هو شخصيا باقتناء المفردات المثلثة أكثر من غيرها لما يبحث عنه من معلومات والبيانات وهذا لإدراكه المسبق ومعرفته الجيدة لمجتمع البحث ولعناصره الهامة، التى تمثله تمثيلا صحيحا، ولقد اختارت الباحثة كل من صحيفتي الشروق أون لاين، والنهار أون لاين باعتبارها متصدرتان قائمة ترتيب أكثر الصحف الإلكترونية الجزائرية قراءة ومشاهدة حسب موقع إيكسا العالمي لسنة 2014-2015 على التوالي. من جهة، ومن

جهة ثانية يبتثما الإلكترونية (إعلام رقمي) لدراسة مضامينهما الممتلئة "للهوية الثقافية" لمضمون إعلامي حساس، وتم تحديد الفترة الزمنية للدراسة بتصفح وقراءة للصفحات الثقافية لتلك الصحف لمدة شهرين (2) "شهر ديسمبر 2015 وجانفي 2016" دون احتساب الأسبوع الأخير من شهر جانفي (للتزامات وقتية).

2- تعريف الإعلام الرقمي:

يعرف الدكتور حسنين شفيق الإعلام الرقمي إلى أنه "ذلك الإعلام المعتمد على التكنولوجيا الرقمية مقل مواقع الويب، الفيديو، الصوت والنصوص وغيرها. وبالتالي فهو العملية الاجتماعية التي يتم أطراف الإتصال عن بعد بين أطراف يتبادلون الأدوار الرقمية ووسائلها لتحقيق أهداف معينة، وهو بهذا يشمل كل وسائل الإعلام التي تعمل وفق النظم الرقمية".⁽¹⁵⁾

إذن فالإعلام الرقمي هو حقيقة مجموعة الأساليب والأنشطة الرقمية الجديدة التي تمكنا من إنتاج ونشر المحتوى الإعلامي وتلقيه، بمختلف أشكاله من خلال الأجهزة الإلكترونية (الوسائط) المتصلة بالإنترنت في عملية تفاعلية بين المرسل والمستقبل. بحيث تكون جميع الوسائل والأدوات المستخدمة في إنتاج المحتوى الإعلامي من صحافة وأخبار وغيرها من الأدوات ومصادر المعلومات هي بشكل رقمي ومخزنة على وسط خزن الإلكتروني وظهور مرحلة التفاعل، وتتميز بوجود نوع من التحكم الإنتقالي من جانب أفراد الجمهور في نوعية المعلومات التي يختارونها أي أن الفرد يمكن أن يكون رئيساً لتحرير المجلة، أو الصحيفة التي يختارونها.

الدراسة التحليلية:

جدول رقم 1: الصحف الإلكترونية الجزائرية - عينة الدراسة -

ت	الصحيفة	الموقع على شبكة الإنترنت
1	النهار أون لاين	http://www.ELNAHAR.COM
2	الشروق أون لاين	http://www.ECHOROUK.COM

مصدر الجدول: الدراسة الحالية

جدول رقم 2: مضامين "الهوية الثقافية" المنشورة في صحف-عينة الدراسة-

النسبة %	التكرار Σ	الشروق أون لاين		النهار أون لاين		عينة "المضامين الهوية"
		%	ت	%	ت	
18.88	85	18.29	43	19.53	42	اللغة
8.00	30	9.36	22	6.51	14	الدين
40.22	181	40.00	94	40.46	87	عادات / تقاليد أصول
6.22	28	6.80	16	5.58	12	تاريخ
26.60	120	25.53	60	27.90	60	آداب وفنون
%100	450	%100	225	%100	215	مجموع

مصدر الجدول: الدراسة الحالية

أظهرت نتائج الجدول أعلاه أن الصحف -عينة الدراسة- اهتمت بمضامين "اللغة" باعتبارها معياراً أساسياً وأولياً في الهوية الثقافية لأي بلد، وحضرت معها مضامين الآداب والفنون وفئة العادات والتقاليد والتي تشكل هي الأخرى ميزة كل

مجتمع تميزه عن غيره من المجتمعات والتي تكون معبرة عن هويته الثقافية، وهذا ما جاء في الفئات التي تصدر والترتيب والنسبة بما سجلته وورد في الجدول أعلاه.

فيما حضرت المضامين الأخرى مختلفة ومتنوعة من مضامين العادات والتقاليد والدين، وشكلت مضامين التاريخ حضوراً محتشماً وإن كان نوعياً.

جدول رقم 3: مضامين "اللغة" كهوية ثقافية في صحف -عينة الدراسة-

النسبة %	التكرار Σ	الشروق أون لاین		النهار أون لاین		عينة اللغة
		%	ت	%	ت	
37.64	32	39.53	17	35.71	15	قضايا التغريب "لغة عربية"
29.41	25	27.90	12	30.95	13	إدماج اللغة الأمازيغية
23.52	20	20.93	9	26.19	11	الخطاب الإعلامي
9.41	8	11.62	5	7.14	3	التأليف
%100	85	%100	43	%100	42	المجموع

مصدر الجدول: الدراسة الحالية

لقد أظهرت نتائج الجدول أعلاه، أن مضامين اللغة، كهوية ثقافية تعددت حقيقة، وإن كانت نوعاً ما نتائج محتشمة، لكنها تضمنت مضامين جيدة، من قضايا التغريب، إلى ترسيم اللغة الأمازيغية كلغة تعكس الهوية الثقافية للجزائر، سواء كانت لهجة أو لغة، المهم أنها تعكس الإرث اللغوي بين مناطق الجزائر الشاسعة إما التأكيد على اللغة العربية على غرار ديوان "وحم أعلى الجمار" الذي ترجم إلى الكردية وكذا تأكيد الروائية ربعة جلطى على الاهتمام بلغة الشعر ومحاولة إرجاعها إلى المشهد الأدبي على هامش فعاليات الحفل التكريمي الذي أقيم على شرفها في إطار المعرض الوطني للكتاب المقام في تلمسان يتيح للغة الضاد كهوية ثقافية للجزائريين إلى التوسع في العالم.

جدول رقم 4: مضامين "المواضيع الدينية" كهوية ثقافية في صحف -عينة الدراسة-

النسبة %	التكرار Σ	الشروق أون لاین		النهار أون لاین		عينة المواضيع الدينية
		%	ت	%	ت	
27.77	10	27.27	6	28.57	4	قضايا التغريب الديني "العولمة"
22.22	8	22.72	5	21.42	3	الغزو الثقافي "التكنولوجي"
50	18	50	11	50	7	المرجعيات المذهبية
%100	36	%100	22	%100	11	مجموع

مصدر الجدول: الدراسة الحالية

تشير نتائج الجدول أعلاه إلى أن المواضيع الدينية كهوية ثقافية حضرت بنسب ضعيفة جداً، وتؤكد الدراسة الحالية أن مُعطى الدين في الصفحات الثقافية يتم استبعاده وإقصاءه في تلك المضامين، والمقصود هنا طبعاً الرؤى والمرجعيات التي يحلل على إثرها الحدث، فظهرت مقالات مختلفة تحوي قضايا التغريب الديني في ظل العولمة إنطلاقاً من الصراعات السياسية والثورات في العالم العربي وأزمة الإسلاموفوبيا والتي جعلت من الدين الإسلامي ومعتقديه دائماً في إصبع الاتهام، فجاءت هذه الكتابات نوعية حقاً، إضافة إلى الغزو الثقافي في ظل التكنولوجيا الإعلامية خاصة تأثير مواقع التواصل

الإجتماعي وتموقع الدين فيما تحمله مضامينها خاصة السلبية منها كإمتداد الفكر الشعبي، والإلحاد وهذا إمتداداً للإدمان الكبير لجميع فئات مجتمعا "نساء -رجال- أطفال" هذه المواقع.

جدول رقم 5: مضامين "العادات والتقاليد" كهوية ثقافية في صحف-عينة الدراسة-

النسبة %	Σ التكرار	الشروق أون لاين		النهار أون لاين		عينة
		%	ت	%	ت	عادات وتقاليد
29.28	53	29.78	28	28.73	25	إحتفالات مهرجانات أعراس
14.91	27	28.72	27	31.03	27	تظاهرات ثقافية " ألبسة، أغاني الراي"
21.54	39	22.34	21	20.68	18	التراث الوطني المادي
9.39	17	19.14	18	19.54	17	معارض
%100	181	%100	94	%100	87	مجموع

مصدر الجدول: الدراسة الحالية

حضرت مضامين العادات والتقاليد كهوية ثقافية للمجتمع الجزائري من خلال المضامين الإعلامية المتمحورة حول قضايا مختلفة تم تقييئها حسب الجدول أعلاه، ولقد تصدرت كل من التظاهرات الثقافية، والإحتفالات والأعراس صدارة الترتيب، لما للساحة الثقافية هذه السنة من تظاهرات على غرار "قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015"، ثلاثينية الراي بفرنسا"، "أماسي سيرتا للشعر"، أما الأخرى الثالثة والرابعة في الترتيب فقد تقاربت في الحضور على غرار ديوان "وحم أعلى الحجار" الذي ترجم إلى الكردية وكذا تأكيد الروائية ربيعة جلطي على الإهتمام بلغة الشعر ومحاولة إرجاعها إلى المشهد الأدبي على هامش فعاليات الحفل التكريمي الذي أقيم على شرفها في إطار المعرض الوطني للكتاب المقام في تلمسان.

وشكل هذا التنوع في المضامين، تنوعاً في أبعاد الهوية الثقافية لبلدها، يبقى الحضور المحتشم مسجلاً رغم السعي إلى التنوع الإعلامي في المضامين.

جدول رقم 6: المضامين التاريخية" كهوية ثقافية" في صحف-عينة الدراسة-

النسبة %	التكرار Σ	الشروق أون لاين		النهار أون لاين		عينة مضامين تاريخية
		%	ت	%	ت	
60.71	17	56.25	9	66.60	8	الكتابات التاريخية
28.57	8	31.25	5	25.00	3	شهادات شخصية
10.71	3	12.50	2	8.33	1	مرجعية الدولة الجزائرية
%100	28	%100	16	%100	12	المجموع

مصدر الجدول: الدراسة الحالية

يمثل التاريخ أبرز عناصر الهوية الثقافية لأي دولة، وإن إهتمام الإعلام عامة والإعلام الرقمي خاصة لميزاته النوعية، كالجُمهور الواسع (العالمي) للوسيلة الإعلامية هذه وسرعة إنتقاله وتفاعلية قراء تلك الوسائل، يحتم على القائمين بالإتصال في هذه الوسائل الإهتمام ونشر المضمون التاريخي كهوية ثقافية لدولهم ولقد سجلت الدراسة غياباً شبه كلي لمثل هكذا

مضامين فتكرار 12 و 16 موضوع مقارنة بالمواضيع الأخرى، يشكل ناقوس خطر في المادة الإعلامية التاريخية. فلقد جاءت الكتابات التاريخية المؤرخة للحقبة الإستعمارية حاضرة ب 8 و 9 مواضيع في كلتا الصحيفتين، لتأتي الشهادات الشخصية والتي تحاكي نضال البعض، إضافة إلى مرجعية الدولة الجزائرية كدولة من دول شمال إفريقيا، وتجدر الإشارة هنا أن تأكيد المضامين التاريخية في الصفحات الثقافية مُبعد ومغيب في الصحف لجهل البعض أن له بُعد يقافي مرتبط بالهوية الثقافية وليس مرتبط بالمضامين السياسية.

جدول رقم 7: مضامين "الآداب والفنون" كهوية ثقافية المنشورة في صحف-عينة الدراسة-

النسبة %	التكرار	الشروق أون لاين		النهار أون لاين		عينة آداب وفنون
		%	ت	%	ت	
39.23	51	40.00	28	38.33	23	جوائز أدبية
38.46	50	35.71	25	41.60	25	معارض كتاب
22.30	29	24.28	17	20.00	12	تمثيل /مسرح
% 100	130	% 100	70	%100	60	مجموع

مصدر الجدول: الدراسة الحالية

مثلت نتائج الجدول أعلاه مضامين الآداب والفنون المنشورة في - صحف عينة الدراسة- ولقد حضرت بتنوعها وقلتتها كذلك، ولقد تصدرت معارض الكتاب قائمة الترتيب ليست بعيدة عنها الجوائز الأدبية على غرار ديوان "وحم أعلى الجمار" الذي ترجم إلى الكردية وكذا تأكيد الروائية ربيعة جلطي على الاهتمام بلغة الشعر ومحاولة إرجاعها إلى المشهد الأدبي على هامش فعاليات الحفل التكريمي الذي أقيم على شرفها في إطار المعرض الوطني للكتاب المقام في تلمسان. أما ما خص السينما والمسرح والتمثيل فقد حضر في ترتيب ثالث على سبيل الذكر لا الحصر خبر الخرجة السينمائية لأمل وهي غير الموفقة، والطبعة التاسعة لمهرجان وهران شعار السينما العربية.

جدول رقم 8: مضامين "الصور والفيديوهات" المعالجة "الهوية الثقافية" في صحف-عينة الدراسة-

النسبة %	التكرار	الشروق أون لاين		النهار أون لاين		عينة صور وفيديوهات
		%	ت	%	ت	
28.20	22	23.80	10	33.33	12	صور تاريخية
11.53	9	19.04	8	1.77	1	صور فنية
51.28	40	47.61	20	55.55	20	صور شخصية
8.97	7	9.52	4	8.33	3	صور "معالم"
0	0	0	0	0	0	فيديو
%100	78	%100	42	%100	30	مجموع

مصدر الجدول: الدراسة الحالية

إنَّ ارتباط الإعلام الرقمي المحدد في دراستنا الحالية- بالصحافة الإلكترونية- يحتم علينا دراسة الوسائط المتعددة "Multi-Média" كخاصية حديثة حاضرة في البيئة الإلكترونية، استفادت منها الصحافة الإلكترونية عامة والصحافة الإلكترونية الجزائرية خاصة، بالأخص لما يُقدم المضمون الإعلامي عنها شكل "فيديو" متاح عبر موقع الصحيفة. فلقد جاءت مضامين الهوية الثقافية في الصور الشخصية لمن كانوا محور المضامين أي صانعي الحدث كالروائية ربيعة جلطي، الشاب خالد، الروائي عيساوي، أمل وهي، ميهوبي، الشاب مامي،... إلخ، فيما حضرت الصور التاريخية وغالبيتها حضرت في صور لتظاهرات جسدت حقبة إستعمارية "ثورات، معارك إبان الإستعمار الفرنسي. فيما جاءت صور المعالم التاريخية في صور ثلاث إرتبطت بمقال "مساع لتصنيف المجموعة الأثرية لنظام تحصين مدينة وهران".

فيما غابت الفيديوهات غياباً كلياً في مثل هكذا مواضيع رغم أن البيئة الإلكترونية "الأنترنت" تتيح مثل هكذا وسائط إعلامية متعددة Milti-Media. ممّا شكل قصوراً في هذه الإستفادة، وضعف من إمتداد وتوسيع المضمون الإعلامي الثقافي الذي يعكس الهوية الثقافية لأطراف أخرى عالمية.

جدول رقم 9: القوالب الصحفية المستخدمة في مضامين الهوية الثقافية في صحف-عينة الدراسة-

النسبة %	التكرار	الشروق أون لاين		النهار أون لاين		عينة القالب
		%	ت	%	ت	
52.21	59	51.72	30	52.72	29	خبر
13.27	15	12.06	7	14.54	8	حوار
34.51	39	36.20	21	32.72	18	مقال
%100	133	%100	58	%100	25	مجموع

مصدر الجدول: الدراسة الحالية

يرجع اعتماد الدراسة على فئة "القوالب الصحفية" المستخدمة في المضامين التي تتحدد فيها الهوية الثقافية، لإبراز مدى اعتماد صحف عينة الدراسة على التعمق أو إبلاء مثل هذه المضامين بُعداً تحليلياً وطرح المضمون الثري والحساس لموضوع الهوية، فقد سجلت الدراسة اعتماد الصحيفتين على الخبر بنسبة كبيرة جداً وارتبط ذلك بتغطية التظاهرات والمهرجانات والأحداث العامة من معارض وأخرى أماما كتب في قالب مقالات أو حوارات فقد جاءت نوعاً ما محتشمة، وهذا مردّه اعتماد الصحيفتين على صفحة واحدة مختصة في الثقافة مقارنة مع الصفحات الأخرى كالرياضة والسياسة والإشهار كذلك، وهذا ما أثر نوعاً ما على سر وعمق الدراسة والتحليل لمثل هكذا مواضيع حساسة خاصة إذا ما تعلق الأمر بالقارئ العالمي، فالصحيفتين إلكترونيتين ويمكن لأي قارئ أجنبي أن يتصفحها، فماذا يقول عن هكذا تناول سطحي لمواضيع حساسة مرتبطة بهويتها الثقافية.

جدول رقم 10: القائم بالاتصال في مضامين "الهوية الثقافية" في صحف-عينة الدراسة-

النسبة %	التكرار	الشروق أون لاين		النهار أون لاين		عينة القائم بالاتصال
		%	ت	%	ت	
	90	54.65	47	62.31	43	صحفيين
	32	22.09	19	18.84	13	كتاب (أدباء)

مؤرخين	4	5.79	7	8.13	11	
دعاة	2	2.89	4	4.65	6	
مفكرين (باحثين)	7	10.14	9	10.45	16	
مجموع	69	%100	86	%100	155	%100

مصدر الجدول: الدراسة الحالية

جاء تحديد هذا البُعد العميق في الدراسة، لتحديد "لمن نقرأ" أو "لمن يقرأ" القارئ للمواضيع المهمة بـ "الهوية الثقافية" وهو في الحقيقة عنصر لا بد الإهتمام به لإعطاء أولوية للقائم بالاتصال الذي يملك مرجعية فكرية معينة لأن يكتب أو ينشر مواضيع تعكس هوية مجتمع معين لمصادقية وطرح جدي لمثل هكذا قضايا حساسة وبناءه للمجتمعات، كمقالات الأستاذ الدكتور عبد الملك بومنجل الشاعر والناقد.

جدول رقم 11: قيم مضامين "الهوية الثقافية" في ثورة صحف-عينة الدراسة-

القيم	النهار أون لائن		الشروق أون لائن		Σ التكرار	النسبة %
	ت	%	ت	%		
المواطنة	22	17.05	17	12.05	39	17.56
حرية	17	13.17	12	8.51	29	13.06
تواصل	19	14.72	22	15.60	41	18.46
النضال	13	10.07	21	14.89	34	15.31
الانتماء العربي	18	13.95	23	16.31	41	18.46
الولاء	17	13.17	21	14.89	38	17.11
الأصالة	23	17.82	25	17.73	48	21.62
مجموع	129	%100	141	%100	222	%100

مصدر الجدول: الدراسة الحالية

إنَّ الحديث عن القيم في مضامين الهوية الثقافية يعتبر من أولويات الأمور، فالهوية الثقافية في حد ذاتها قيمة مهمة، لأي بلد أو أمة أو شخص كذلك.

ولقد سجلت الدراسة الحالية قيما متنوعة، لعلَّ أبرزها وأكثرها حضوراً كل من قيمة الأصالة والمواطنة التي يستخلصها القارئ عند قراءته لتلك المضامين، خاصة إذا كان القارئ عالمي مثل ما ينتجه الإعلام الرقمي عبر بيئته الإلكترونية في الشبكة العنكبوتية العالمية.

أبرزت القيم الأخرى والتي جاءت متقاربة الحضور، فكلها حقيقة أبرزت البُعد القيمي لمضامين الهوية الثقافية للجزائر كدولة بمختلف ما تمتلكه من إرث معنوي لشعبها وتواصله مع الآخر.

نتائج الدراسة:

سجلت الدراسة الحالية العديد من النتائج النوعية، ارتباطاً بنوعية الدراسة التي تبحث في موضوع حساس وهو الهوية الثقافية من خلال المضامين الإعلامية في الصحف الإلكترونية، هته الأخيرة التي تنشط ضمن بيئة وإعلام رقمي عالمي، ومتفاعل، متعدد الوسائط يحمل ما هو إيجابي لو أُسْتُغِلَ جيداً. بمضامينه التي يمكن لها ارتباطاً بموضوع الدراسة "الهوية الثقافية" أن تبرز الهوية الثقافية للجزائر والجزائريين عامة ولقد جاءت النتائج مبرزة ما يلي:

- هناك تنوع حقيقي حاصر في المضامين الإعلامية المعالجة لموضوع "الهوية الثقافية" من لغة، دين، عادات، تقاليد، أصول، تاريخ، آداب وفنون، وإن كان حاضراً فهذا لا يعني أنه حضر حضوراً محتشماً فنسبة 57.76% يعتبر نسبة قليلة بالنظر إلى اكتساح المضامين الأخرى "الرياضية، السياسية، ... إلخ.

- جاءت مضامين "اللغة" كهوية ثقافية محتشمة نوعاً ما، فتكرار 42 موضوع و43 موضوع في كلتا الصحيفتين يمثل ضعفاً نوعاً ما في الاهتمام باللغة وتصبو الدراسة إلى زيادة الكتابة والتناول الإعلامي لقضايا اللغة حتى ولو جاءت على شكل كتابات وبحوث وليس فقط تغطيات إعلامية مسجلة لحدث ما على غرار ما تناولته كلتا الصحيفتين.

- حضرت مضامين الدين كهوية ثقافية بنسب ضئيلة جداً في الصفحات الثقافية للصحف عينة الدراسة، وهذا ربما مردّه جهل العديد من الصحف، أو استبعاد ربما الدين كهوية ثقافية تدرج في الصفحات الثقافية، سواء كتابات، أو أحداث أو تغطيات إعلامية لتظاهرات دينية، ولهذا جاءت مضامين الدراسة محتشمة نوعاً، لإنعدام هذه الرؤى في إعلامنا الجزائري فتكون الكفاية من أفلام تكتب عن ما يتم تسجيله كفنات للجدول الخاص بـ "الدين" كمضمون لهوية ثقافية.

- جاءت الصور والفيديوهات شبه منعدمة في مضامين عينة الدراسة، رغم أن البيئة الإلكترونية تتيح الوسائط المتعددة لإمتداد مشاهدة أوسع للقارئ أو المشاهد، إلا أنها جاءت محتشمة وهذا ما يُعاب على الصحيفتين كما سبق ذكرها سابقاً في تحليل الجدول.

- يظهر الضعف جلياً في القوالب المعتمدة في معالجة المواضيع المرتبطة بالهوية الثقافية في صحف عينة الدراسة، وهذا لاعتمادها الشبه الكلي على الأخبار دون التنوع العادل بين الحوار والمقالات المتعمقة والمحللة لحدث ما. بمرجعيات فكرية وأدبية وبحثية، لذا فمضامين هذه الأخبار لم تُضيف معلومة تنقيفية، توعوية، رغم أن البيئة الإلكترونية متعددة ومتنوعة القراءات والمشاهدات فالقارئ عالمي ومتعدد الثقافات والهويات لذا استوجب التحليل والتعمق في الكتابة أو حتى الروبورتاجات لإبراز هويتنا الثقافية في هذا الإعلام الرقمي العالمي.

- فيما خص الآداب والفنون، فلقد سجلت إلتفاتة نوعية لهذه المضامين لكن يبقى الشح نوعاً ما في تحليل ومساحة هذه المواضيع التي تكتب بإختصار شديد دون التوسع في مضامينها، وهذا ما يُعاب على هذه الصحف، بالإضافة إلى ما تم الإشارة إليه سابقاً هو تحديد صفحة الثقافة بصفحة واحدة قليل.

- تنوعت القيم المستنبطة من المضامين الإعلامية المعالجة للهوية الثقافية من أصالة، وولاء ووطنية و... إلخ، فقراءة هذه المضامين، يضيف حقيقة للقارئ إمكانية استخلاص ما وراء سطور المقال أو الخبر، فالإعلام عامة يُرسل لقيمة أو رسالة للقارئ أو المشاهد، ولما كانت الهوية الثقافية من مقومات الدولة بسلطانها الرابعة المتمثلة في الإعلام، فقد ارتبطت هذه المضامين -محل الدراسة- بقيم نؤكد أنها تنوعت وأعطت إضافة نوعية رغم قلة المضامين مقارنة بمضامين أخرى تم الإشارة إليها آنفاً.

- يبتعد العديد من القائمين بالاتصال في الصحف الجزائرية عامة وصحف عينة الدراسة إلى دراسة مؤشر المادة أو المضمون التاريخي كمرجعية ثقافية مرتبطة بالهوية الثقافية، ويربطون هذه المضامين بمؤشرات سياسية فقط وهو ما يُعاب على سياستنا الإعلامية التي تُبعد القارئ بقراءاته وتوجهاته إلى اعتبار التاريخ هوية ثقافية أكثر من إعتباره مرجعية سياسية.

الخاتمة:

إن ما ركزت عليه هذه الدراسة هو تحليل مضامين الإعلام الجزائري متمثلاً في الصحافة الإلكترونية حول موضوع الهوية الثقافية، والحقيقية أن الدراسة هي تأكيد وإبراز مدى أهمية التوجه نحو الحفاظ على هويتنا من خلال ما يكتبه إعلامنا

اليوم، ونحن نعيش عولمة وغزوًا ثقافيًا شرسًا، فعلى إعلامنا التعامل بعمق مع الثقافة التي هي رافد مهم في التنمية، وهي "جواز سفر" في الحياة، فعلى إعلامنا التعمق أكثر وتقديم النقد والتحليل لتفعيل ثقافتها التي هي هويتنا وليس فقط نقل الخبر وتخصيص صفحة واحدة للثقافة فيما تخصص صفحات متعددة للرياضة والسياسة فمقياس الشعوب هم ثقافتهم وليس المشاكل والتزاعات.

المراجع:

- 1- عبد العزيز بن عثمان التديجري، 2002، ص 18.
- 2- د. أسعد السحمراني، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، دار النفائس، ط 1، 2002، ص ص: 82-83.
- 3- د. أسعد السحمراني، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، دار النفائس، ط 1، 2002، ص 82.
- 4- د. خالد بن عبد الله القاسم، العولمة وأثرها على الهوية [1/2]، 2006، على الموقع www.islamtoday.net.
- 5- د. أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص : 82-83.
- 6- سورة الإسراء، الآية رقم 70.
- 7- د. أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص : 84.
- 8- د. خالد بن عبد الله القاسم، المرجع السابق.
- 9- أ. عبد العزيز بوسالم، هل تموت الثقافة الوطنية في زمن العولمة، مجلة آفاق، العدد الخاص بالعولمة الاقتصادية، جامعة البليدة، ص 18.
- 10- أحمد بن مرسل: مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2010، ص 250.
- 11- أحمد بن مرسل، نفس المرجع، ص 250.
- 12- 13- 14- أحمد بن مرسل، نفس المرجع، نفس ص: 197.
- 13- د- حسنين شفيق، الإعلام الجديد: الإعلام البديل تكنولوجيا جديدة في عصر ما بعد الثقافة-، بغداد، دار الفكر والفن، 2010، ص: 53.

حركة عثمان بن فوديو الإصلاحية في غرب إفريقيا

أ. غانم بودن
جامعة تيارت

ملخص:

يعتبر الدين الإسلامي أهم رافد للحضارة الإنسانية ساهم في تطور المجتمعات المعتمدة له في جميع المجالات على اختلاف أعراقها وتوزيعها الجغرافي، وكان سببا رئيسا في نمطها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والحضارة، وكانت قارة إفريقيا رغم اتساعها وصعوبة مناخها موطنًا لعدة دول وممالك إسلامية ساهمت في نشر الإسلام في أعماق القارة، كما ساهمت في الحضارة الإسلامية بإنتاجها الفكري في الدراسات الفقهية، وكان المسلم الإفريقي على غرار باقي المسلمين فعالا، مواكبا لكل التطورات في مجتمعه، ولم يكن بمعزل عن محيطه الإسلامي العام. فمثلما عرف المشرق العربي حركات إصلاحية مجددة معتمدة على تعاليم الإسلام الصحيحة، عرفت منطقة غرب إفريقيا (نيجيريا حاليا) حركة مماثلة اعتمدت على إحياء الدين الإسلامي الصحيح، وإصلاح أحوال المجتمع، وتطهيره من البدع والخرافات والوثنية، وقد قاد هذه الحركة الشيخ عثمان بن فوديو الذي قضى سنين في الدعوة والتعليم، ثم أعلن الجهاد ضد الإمارات الوثنية، ونجح في تأسيس دولة إسلامية بغرب إفريقيا هي دولة سو كوتو بشمال نيجيريا لا تزال آثارها إلى غاية اليوم.

مقدمة

عرفت منطقة غرب إفريقيا تطورا حضاريا واقتصاديا وسياسيا منذ دخول الإسلام خلال القرن الحادي عشر الميلادي، حيث تأسست عدة ممالك إسلامية تداولت على حكم المنطقة وقامت بنشر الإسلام، وفي القرن الثامن عشر سادت النزاعات بين شعوب المنطقة و تعرض الإسلام لتشويه كبير بدخول البدع والخرافات، وسيطرة الحكام الوثنيين على الأوضاع السياسية مما استوجب ضرورة الإصلاح وإعادة هبة الإسلام ومكانته في المنطقة، ولم تخلُ منطقة غرب إفريقيا من علماء مصلحين يجددون نمط الحياة الإسلامية على غرار مصلحي المشرق العربي، ويؤسسون لحكم إسلامي لا تزال آثاره لغاية اليوم، ومنهم الشيخ عثمان بن فوديو الذي رفع لواء الإصلاح الديني والجهاد في شمال نيجيريا، وأسس دولة إسلامية على نمط الخلافة، فعدّ رائدا للإصلاح الديني بالمنطقة الذي يندرج في إطار حركة الإصلاح في العالم الإسلامي.

1- أوضاع إمارات الهوسا قبل قيام حركة الشيخ عثمان:

تقع بلاد الهوسا⁽¹⁾ في نيجيريا الشمالية ولها سبع إمارات: دورا (Daura)، كانو (Kano)، زازاو (Zazaw) أو زاريا، جوبير (Gobir)، كاتسينا (Katsina)، بيرام (Biram)، رانو (Rano)⁽²⁾، ولكل إمارة ملك يتخذ مدينة فيها تكون عاصمة للملكة⁽³⁾، وقد انتشر الإسلام في منطقة غرب إفريقيا عن طريق الساحل الغربي من خلال حركة المرابطين نحو الجنوب والغرب، وعبر الطرق التجارية بين شمال إفريقيا وغربها ومراكزها التي استقر فيها رجال الدين مثل غانة⁽⁴⁾، جنّ⁽⁵⁾، مالي و غاو⁽⁶⁾ وجعلوها منطلقا للدعوة إلى الإسلام، وقد ساهمت دولة مالي بنصيب كبير في نشر الإسلام بعد أن أصبح الدين الرسمي لها، وهي من أوصله إلى بلاد الهوسا منذ حوالي القرن الثالث عشر الميلادي⁽⁷⁾، ولكنه لم ينتشر إلا في القرن الخامس عشر، وكان الإسلام في البداية هو دين الصفوة والأدباء وظلت الوثنية هي السائدة ثم اختلطت العقيدة الإسلامية بالوثنية، وظل الأمر كذلك حتى ظهور عثمان دان فوديو⁽⁸⁾، وكان من نتائج العقيدة الإسلامية أن أصبح للملوك والتجار في ممالك الهوسا تقاليد خاصة بهم، وأدى ذلك إلى تقدم مملكة الهوسا في التجارة العالمية التي أدت إلى تطوير زراعتهم وصناعاتهم المتمثلة في نسيج الصوف والصناعات المعدنية⁽⁹⁾.

وبعد سقوط دولة سنغاي 1591⁽¹⁰⁾ كانت إمارات الهوسا أكبر مستفيد من ذلك، فكاتسينا عوضت غاو⁽¹¹⁾ وطمبوكتو⁽¹²⁾ كخط أخير للتجارة السودانية عبر الصحراء، وشكل التطور الاقتصادي لدول الهوسا في نيجيريا الشمالية الحدث التاريخي البارز في منطقة الساحل السوداني خلال القرن السابع عشر والثامن عشر،⁽¹³⁾ ولكن من الناحية السياسية كثر العنف وبدأت الغارات، وانقسمت الدولة إلى عدد من القبائل المتنافرة، ولم تعد هناك دولة تجمع شعوب المنطقة تحت سلطة واحدة، وعاد السكان إلى الديانات المحلية الوثنية ولم يعرف السودان الغربي سوى السلب والسطو والحرب المستمرة.⁽¹⁴⁾

وكانت جوبير أو غوبير الدولة الشمالية في إمارات الهوسا بدأت في التوسع، ووصلت حدودها شمالا حتى الصحراء الكبرى وكانت متقدمة بعض الشيء،⁽¹⁵⁾ وأصبحت مع نهاية القرن الثامن عشر أقوى إمارات الهوسا تضم أجناس مختلفة من التوارق والفلولانيين (Peuls)⁽¹⁶⁾، والفلولانيون كانوا إما قساوسة ووثنيين أو حضريين ومسلمين،⁽¹⁷⁾ بدأ نجمهم يلعب خلال القرن الثامن عشر في شتى أقاليم الهوسا وكانوا يكونون ما يمكن أن يسمى دولة داخل دولة لهم كثير من الاستقلال،⁽¹⁸⁾ ومن الفولاني سيخرج رائد الحركة الإصلاحية في غرب إفريقيا الشيخ عثمان من فوديو.

2- الشيخ عثمان بن فوديو، المولد والنشأة:

* مولده: هو عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد بن جبّ بن محمد بن ثنب بن أيوب بن ماسران بن بوب باب بن جكل الملقب بابن فودي،⁽¹⁹⁾ نسبة إلى الاسم الذي اشتهر به والده فوديو أو فودي (Fodio) التي تعني بالفلولانية "المتعلم" أو الفقيه،⁽²⁰⁾ ولد في بلدة ماراتا (Maratta)⁽²¹⁾ في إمارة غوبير (ولاية سوكتو بنيجيريا حاليا) يوم الأحد 15 نوفمبر 1754م الموافق لآخر صفر سنة 1168 هـ،⁽²²⁾ ينحدر من عائلة مثقفة توارثت العلم والثقافة خلفا عن سلف منذ القرن الخامس عشر تاريخ هجرتها مع القبيلة الفلولانية إلى بلاد الهوسا من فوتاتورو (Fouta toro) الواقعة على نهر السنغال بزعامه الشيخ موسى جكل الجد الأكبر لعثمان بن فودي.⁽²³⁾

* تعليمه: لعبت أسرته دورا كبيرا في تعليمه فقد نشأ وترعرع في أسرة فولانية ذات طابع ديني وبيئة صوفية،⁽²⁴⁾ حيث تتلمذ على يد والدته حواء وجدته رقية، وحفظ القرآن على يد والده مما يدل على المستوى العالي الذي كانت عليه عائلته،⁽²⁵⁾ ودرس مختصر خليل على عمه عثمان بن الأمين،⁽²⁶⁾ وتجول في عدة مناطق في إفريقيا لتوسيع أفقه العلمي حيث درس دراساته العليا عند شيخه الحاج جبريل بن عمر (جبريل دان) في مدينة أغدس (Agadès)⁽²⁷⁾ بالنيجر، والذي كان يعتبر من أكبر علماء السودان الأوسط في ذلك الوقت فأخذ عليه وصاحبه لمدة تزيد عن السنتين⁽²⁸⁾، فتعلم على يديه كتب الشيخ أحمد بن إدريس المتوفى سنة 1285م، ومؤلفات محمد بن يوسف السنوسي المتوفى سنة 1490م في التوحيد، وكتاب "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض، وكتب جلال الدين السيوطي و عبد الكريم المغيلي التلمساني،⁽²⁹⁾ مما جعله يلم بالعلوم الشرعية من فقه وحديث وسيرة سهلت له نشاطه الدعوي وجلبت له التأييد.

وبحكم أن منطقة السودان الغربي تنتشر فيها الطرق الصوفية بكثرة فقد اعتنق الشيخ عثمان إحداها وهي الطريقة القادرية⁽³⁰⁾ التي انتشرت في القرن الخامس عشر ميلادي بواسطة مهاجري توات، وكان أشهر دعاة محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني⁽³¹⁾ في الجزء الأوسط من الصحراء وبلاد الهوسا، وفيما بعد تسلم لواء القادرية عثمان بن فودي،⁽³²⁾ وسلك نهج أهل الطرق الصوفية في تربية النفوس بالأذكار والأوراد، وأنشأ طريقة منسوبة إليه باسم الطريقة الفودوية وهي فرع من القادرية⁽³³⁾ التي ألفت فيها الكثير من الأشعار والرسائل.

* مؤلفاته: إن ما يميز شخصية عثمان بن فودي عن غيره هو أنه جمع بين السياسة والعلم، فبقدر ما كان مؤسسا لدولة قوية في غرب إفريقيا، كان عالما صاحب رسالة ثقافية وحضارية قام بها على أحسن وجه في وسط سادته الوثنية والصراعات السياسية والقبلية، وتحلى ذلك من خلال ما خلفه من تراث فكري وديني عكس تكوينه الديني العميق ورؤيته السياسية وفكره الإصلاحى للنهوض بشعب الفولاني ومنطقة غرب إفريقيا.

فقد كان من كبار المفكرين المسلمين في غرب إفريقيا وله مؤلفات واسعة، تعكس عمق فكره ودراسته، فلم يحفل بالعرش الذي كونه ولا بالمجد السياسي الذي أحرزه، بل ترك هذا لابنه وأخيه وعكف على البحث والدراسة،⁽³⁴⁾ فكانت مؤلفاته مرشدا للناس ومصدرا للفتوى والتشريع، وهي تعكس ثقافته وعلمه الشرعي وإطلاعه على الأحاديث النبوية الشريفة والمذاهب الأربعة وآراء العلماء المشهورين في غرب إفريقيا كالمغلي والشيخ مختار الكنتي وأستاذه الحاج جبريل بن عمر.⁽³⁵⁾

وقد نصت مؤلفاته على الإصلاح وتطبيق الأحكام الإسلامية وتصحيح الإيمان وإقامة الشريعة ومحاربة البدعة ومنها:⁽³⁶⁾

- إحياء السنة وإخماد البدعة في ثلاثة وثلاثين بابا دارت حول العقيدة وأصول الدين.

- حصن الإفهام من جيوش الأوهام.

- نجم الإخوان يهتدون بإذن الله في أمور الزمان.

- سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان.

- إقحام المنكرين في الزجر عن البدع والأهواء.

- نصيحة أهل الزمان.

- أصول الدين.

- ضياء السياسات وفتاوى النوازل في فروع الدين من المسائل (وضح فيه أسس المجتمع الإسلامي).

- تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان (تناول فيه بلاد الهوسا وأسباب الصراع بين زعمائها).

- السلاسل القادرية للأمة المحمدية.

كما كتب عدة مقالات منها "تطبيب قلوب الأمة المحمدية بذكر بعض القصائد القادرية"، "مسائل المعاملة"، "نور الأبواب"، "إرشاد الإخوان إلى أحكام ورود النسوان"، حيث حث على لزوم تعليم المرأة و تثقيفها مما يجعله رجلا مجتهدا ومجددا، كما أكد على وجوب المعاملة الحسنة للعبيد، وكان أول من ترجم القرآن الكريم للغة الفولان كي يسهل على عامة الناس فهمه.⁽³⁷⁾

* وفاته:

توفي الشيخ عثمان سنة 1817م بمدينة سوكونتو، ودفن بها وما يزال قبره مزارا للمعجبين به، المحبين لدعوته الإصلاحية.⁽³⁸⁾

3- دعوة الشيخ عثمان الإصلاحية:

أ- ظروف قيام الدعوة:

عرفت إمارات الهوسا فترة صراع وتوتر فيما بينها في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي أثرت على الاستقرار السياسي وانعدام أمن الطرق التجارية، حيث تعرضت كانوا لغزو من زمفارة⁽³⁹⁾ وغوبير فتدهورت أوضاعها الاقتصادية والسياسية وتفشت فيها المجاعة ونضبت ينابيع الثروة وغادرها عدد كبير من السكان،⁽⁴⁰⁾ وأدى هذا التنافس إلى استنزاف الموارد

وتفكك الدول وتضييع الطاقات البشرية،⁽⁴¹⁾ كما ابتعد الناس عن الدين الإسلامي الصحيح الذي على الرغم من انتشاره في غرب إفريقيا إلا أنه ظل يعاني من منافسة الوثنيين، ودخلته الكثير من البدع وظل الحكام الوثنيون هم أصحاب السيطرة والسيادة في قطاعات كثيرة،⁽⁴²⁾ مما أدى لاختلاط العقيدة الإسلامية بالطقوس الوثنية.⁽⁴³⁾

كما كانت حالة الفساد والفوضى دافعا لظهور صحوة إسلامية في غرب إفريقيا تحملتها امبراطورية الفولاني⁽⁴⁴⁾ التي كانت الجماعة الوحيدة التي ظلت متمسكة بالقيم الإسلامية، ومارس رجالها أعباء نشر الدعوة.⁽⁴⁵⁾ ولعبت الطرق الصوفية القادرية والتيجانية والسنوسية دورا بارزا في انتشار الصحوة الإسلامية، بالإضافة إلى انتشار المراكز الإسلامية في السودان الغربي.⁽⁴⁶⁾

ولا يمكن إغفال العامل الخارجي المتمثل في حركة الإصلاح التي عرفها المشرق العربي ودورها في التأثير في باقي مناطق العالم الإسلامي، حيث لم يكن غريبا أن يشهد غرب إفريقيا أصداء هذه الحركة الإصلاحية التي قادها رجال الدين الإسلامي بعد أن نهلوا من ثقافة المشرق، وبعد ما شاهدوا البدع التي أحاطت بالدين، وصارت جزءا من ممارسات الناس العادية، فكان لا بد من ثورة إصلاحية تحاول تطبيق الشريعة الإسلامية وتسعى للعودة إلى نقاء العقيدة الصحيحة،⁽⁴⁷⁾ وتؤسس مجتمعا إسلاميا في إفريقيا جنوب الصحراء مثل المجتمع في شبه الجزيرة العربية (الوهابية)، أو في شمال إفريقيا (السنوسية)،⁽⁴⁸⁾ فالشيخ عثمان بن فودي أدى فريضة الحج وتأثر باتباع الدعوة الوهابية ومبادئهم في محاربة البدع والخرافات، فعاد لبلاده وهو مصمم على نشر الإسلام والتخلص من البدع التي انتشرت في المنطقة.⁽⁴⁹⁾

ب- بداية النشاط الدعوي:

إن التكوين الديني للشيخ عثمان جعله يقتنع بضرورة اعتماد منهج إصلاحي قاعدي للمجتمع معتمدا على تعليم المبادئ الإسلامية الصحيحة، حيث بدأ في العشرين من عمره بعقد حلقات التعليم لإحياء السنة وإماتة البدعة ونشر العلوم وتفسير القرآن، وجمع حوله صفوة المثقفين المسلمين،⁽⁵⁰⁾ محاولا خلق مجتمع مثالي في أوساط الهوسا على شكل المجتمع الإسلامي الأول، ويعتبر في وضعه السياسي ماثلا لمجتمع الأسقيا محمد⁽⁵¹⁾ الذي كان قبل ثلاثة قرون هذب وأصلح أحوال المسلمين في سنغاي.⁽⁵²⁾

في سنة 1775 بدأ الشيخ عثمان يخبر الناس أن إسلام ملوك الهوسا لم يكن الإسلام الحقيقي، وأنه في حاجة ماسة إلى الإصلاح حتى يمكن إدخال ممالك الهوسا في نهج الخط الإسلامي الصحيح⁽⁵³⁾ باعتماد منهج دعوي إصلاحي قام على⁽⁵⁴⁾:

- دعوة الناس إلى ما فرضته الشريعة من أصول وفروع.

- إتباع السنة وترك البدعة.

- رد الأوهام الخاطئة في أذهان الطلبة مما تلقوه من علم الكلام وتكفيرهم للناس بدون مبرر.

- إخماد البدع الشيطانية المخالفة للشرع.

- تعليم علوم الشريعة وتبسيط مشكلاتها.

- استخدام أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة.

- تفسير العلوم بلغة الحاضرين لتسهيل الفهم.

وركز في دعوته على عنصرين: أولهما موضوع المرأة في النموذج الإسلامي والفرق بينه وبين المرأة في النموذج الجاهلي المتخلف داعيا المرأة إلى التحرر من الاستعباد، وثانيهما استخدام الشعر والموشحات الدينية بالطريقة الشعبية المحببة إلى القلوب في قصائد ذات مضمون أخلاقي وعلمي وإرشادي باللغات المحلية، حيث كانت تنتقل بسرعة من ألسنة الدعاة إلى

العامة خاصة أن الثقافة الإفريقية هي ثقافة حفظ لا تسجيل،⁽⁵⁵⁾ وقد دعا الشيخ إلى تصحيح العقيدة الإسلامية ونبد البدع والخرافات، واتباع الكتاب والسنة والاهتمام بالتعليم والتفقه في الدين مركزاً على بث التربية الدينية والخلقية، وشرح مبادئ الإسلام الصحيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متخذاً من بلدة دجل (Degel) مقراً لدعوته،⁽⁵⁶⁾ كما اتخذ أعواناً له من تلاميذه ليساعدوه في دعوته ومنهم أخوه عبد الله⁽⁵⁷⁾ الذي لم يفارقه مدة نصف قرن من الزمن.⁽⁵⁸⁾ وقد شكلت هذه الأفكار تحدياً كبيراً للأفكار السائدة خاصة تعليم المرأة حيث عارضه الكثير في قضية جمعه في مجالسه الوعظية النساء إلى جانب الرجال، فما كان منه إلا الإصرار على تعليم النساء وكتب في هذا رسالة سماها "تنبيه الإخوان على جواز اتخاذ مجلس لأجل تعليم النسوان"، وعمل على تثقيف زوجاته وبناته الثلاث.⁽⁵⁹⁾

واستمرت مرحلة الدعوة من 1774 إلى 1804م شكلت مرحلة البناء الأخلاقي والفكري والاجتماعي وانتهت بتشكيل المجموعة الأساسية من الأتباع (الطلبة) بهدف نشر الصورة الجلية للإسلام وفضح علماء السوء،⁽⁶⁰⁾ وقد تصدى هؤلاء الأتباع المخلصون معه للدعوة البعض بنسخ كتبه ونشرها بين الناس، والبعض بالتنقل في أرجاء السودان الغربي والأوسط لنشر دعوته، فتحوّلت حركته من فكرة الإصلاح إلى حركة الجهاد التي استهدفت إقامة خلافة إسلامية في بلاد السودان،⁽⁶¹⁾ وتجنب في هذه المرحلة ملاقاتاً ومعاشرة أصحاب السلطة من الأمراء والوزراء الحكام حتى لا يقفوا في طريق دعوته الإصلاحية، ولا يعرقلوا عمله،⁽⁶²⁾ والملاحظ أنها فترة دامت ثلاثين سنة تكفي لبناء عقيدة راسخة للتغيير في أوساط المجتمع وضمان النجاح للمشروع الإصلاحي الذي لا يتطلب العجلة مما يعكس عمق فكر الشيخ عثمان في آليات التغيير الاجتماعي.

وفي عام 1786 بدأ في إرسال البعثات، فأرسل بعثة إلى زمفارة وراسل قادة الفولاني شارحاً لهم أفكاره⁽⁶³⁾ ليشدوا أزره باعتبارهم قومه، وحمل لواء التجديد والإصلاح من خلال تغيير المنكر بالقلب واللسان ثم باليد وجمع الجنود لإقامة دولة تحكم بكتاب الله وسنة رسوله (ص) على نمط الحكومات الإسلامية الأولى في صدر الإسلام.⁽⁶⁴⁾

وكان تعاطف نشاط الشيخ عثمان وازدياد أتباعه قد أقلق مضجع أمير جوبير (باوا) الذي حاول اعتراض طريقه لكنه أحس بخطورة الموقف فترك الشيخ وسبيله،⁽⁶⁵⁾ وسعى إلى التقرب منه من أجل إسكاته، ووضع حد لانتشار سمعته وأفكاره، أو الحد منها على الأقل،⁽⁶⁶⁾ فاستدعاه سنة 1788م بمناسبة عيد الأضحى محاولاً إرضاء بمنحه (500) مثقال ذهب، فرفض الشيخ عثمان وطلب منه عوضاً عنها الأمور الخمسة التالية:⁽⁶⁷⁾

- أن يسمح له بالتجول حراً في الإمارة لدعوة في سبيل الله.

- ألاّ يعترض سبيل أي شخص يستجيب لدعوته.

- أن يُوقّر كل عالم يلبس العمامة.

- أن يطلق سراح المسجونين لقضايا سياسية.

- ألاّ يفرض ضرائب باهضة على الرعية.

فقبل الأمير شروط الشيخ عثمان مرغماً نظراً لتزايد أنصاره،⁽⁶⁸⁾ وبعد وفاة حاكم غوبير (باوا) 1794م خلفه حاكم آخر يدعى نفاتا (Nafata) أدرك قوة أتباع الشيخ عثمان وأحس بالخطر على ملكه فأصدر مرسوماً للحد من نشاط الشيخ عثمان نص على:⁽⁶⁹⁾

- عدم السماح لأي شخص باعتناق الإسلام إلا من ورثه عن أجداده.

- منع العلماء من الدعوة الإسلامية ما عدا الشيخ عثمان.

- عدم السماح لأي شخص بلبس العمامة وحمل الخمار.

وأثار هذا المرسوم استياء أنصار الشيخ عثمان، وكان مؤشرا على تغير أسلوب العمل من الدعوة إلى الجهاد، فعارضوه خاصة عبد الله بن فودي الذي أراد مواجهة هذه الإجراءات بالقوة، لكن الشيخ عثمان عارض استخدام القوة لأنه في بداية طريق طويل، ولا يريد الدخول في صراع مع الطبقة الحاكمة حتى لا تشتت جهوده وينصرف عن هدفه الأسمى نحو إعلاء كلمة الدين ورفع راية الإسلام.⁽⁷⁰⁾

ج- إعلان الجهاد:

لقد تفادى الشيخ عثمان الحكام طيلة نشاطه الدعوي الذي دام ثلاثين سنة لضمان انتشار أفكاره الإصلاحية في أوساط الشعب، وتكوين قاعدة صلبة من المؤمنين بالتغيير والجهاد وقت وجوبه، فقد كان إعلان الزعماء المسلمين الجهاد كفيلا بالتفاف الأتباع حولهم، لأنهم رأوا في دعوة الجهاد واجبا للقتال ضد الوثنيين لإجبارهم على اعتناق الإسلام.⁽⁷¹⁾

وكان أنصار الشيخ عثمان قد بدأوا في التسليح منذ 1790م لتكوين جيش قوي، وقد شعر ملك جوبير (Nafata) بخطورة الموقف بعد تسليح الشيخ عثمان فعمل على التصدي لأتباعه⁽⁷²⁾ بمرسومه السابق الذي يعتبره بعض المؤرخين الطلقة الأولى التي أشعلت نار الجهاد،⁽⁷³⁾ كما دبر مؤامرة لاغتيال الشيخ عثمان، لكنه توفي قبل أن ينفذها، وخلفه ابنه يونفا (Yunfa) الذي اتبع نفس السياسة واضطهد المسلمين، وصادر أموالهم وهتك أعراضهم وحرماقم، وقتل عددا من العلماء والفقهاء، وأمر جنوده بحرق المصاحف القرآنية والكتب والألواح، وعندئذ قرر الشيخ عثمان أن ينتقل إلى مرحلة الجهاد.⁽⁷⁴⁾

كانت سنة 1802م هي بداية الجهاد أن الذي أعلنه الشيخ عثمان أمام تصلب مواقف (Yunfa) المعادية لحركته الإصلاحية فأصدر وثيقة أهل السودان في نفس السنة داعيا فيها السودانيين لإعلان الجهاد ضد أمراء غوبير، ومحاربة الطغاة والجبابرة، وسميت وثيقة أهل السودان لأنها رسالة موجهة ليس إلى أهالي غوبير فقط بل إلى كل السودان الغربي، وتضمنت (27) بندا هي خلاصة تعاليم الشيخ في الفترة الأولى من جهاده، وتحديد المبررات لإعلان الجهاد ضد الوثنيين،⁽⁷⁵⁾ ومما جاء في الوثيقة مايلي:⁽⁷⁶⁾

"فاعلموا يا إخواني أن الأمر بالمعروف واجب إجماعا، وأن النهي عن المنكر واجب إجماعا، وأن تأمير المؤمنين واجب إجماعا، وأن طاعته وجميع نوابه واجبة إجماعا، وأن الجهاد واجب إجماعا، وأن تأمير الأمراء في البلدان واجب إجماعا، وأن تأمير القضاة واجب إجماعا، وأن تنفيذهم أحكام الشرع واجب إجماعا، وأن حكم البلاد حكم سلطانه إجماعا، إن كان مسلما كان البلد بلدا إسلاميا، وإن كان كافرا كان البلد بلد كفر وجبت الهجرة منه"

فقد كانت هذه الوثيقة بيانا للانتقال من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الجهاد وبناء الدولة الإسلامية، ومنهاجا جديدا للعمل الذي يلتزم به الشيخ عثمان وأتباعه، حيث تحولت الحركة من حركة إصلاحية واجتماعية إلى حركة ثورية تهدف إلى إقامة الخلافة في بلاد السودان من خلال دعوة حكام الهوسا إلى الإسلام وترك العادات السيئة، وأصبحت الجماعة دولة صغيرة داخل نطاق الدولة الكبيرة، أي إقامة دولة إسلامية على أنقاض دولة الكفر عن طريق الثورة،⁽⁷⁷⁾ فشكلت ثورة الفولاني على إمارة غوبير الحدث الأبرز لتلك الفترة، فقد تم النداء لحرب مقدسة لأجل إسلام مجدد.⁽⁷⁸⁾

كتب الشيخ عثمان بعد إصدار وثيقة أهل السودان جميع الأمراء في بلاد الهوسا (نيجيريا الشمالية) حاليا طالبا منهم الدخول تحت طاعته على أساس الإسلام، فرفضوا دعوته هذه ما عدا أمير (زاريا)،⁽⁷⁹⁾ قصد تكوين تكتل إسلامي لمواجهة الوثنيين.

و كانت بداية الجهاد بهجرة الشيخ عثمان من بلدة دجل (Degel) تحت ضغط أمير غوبير (Yunfa) إلى بلدة غودو (Gudu) الواقعة شمال غرب دجل بـ (48) كم في 21 فيفري 1804 الذي يسميه مسلمو شمال نيجيريا يوم الهجرة، ويعدونه من أعيادهم الوطنية والإسلامية،⁽⁸⁰⁾ فكانت تشبه هجرة الرسول (ص) إلى المدينة أبن مثلت بداية لعهد إسلامي جديد، وفي غودو أعلن الشيخ عثمان بالتركية أميرا للمؤمنين،⁽⁸¹⁾ وبلغه الفولاني (ساركين مسلماني) من طرف مريديه الذين تجمعوا حوله في المهجر،⁽⁸²⁾ فأصدر حاكم غوبير أمرا بالقبض على الشيخ عثمان، وطلب من حكام الإمارات قتل المسلمين ومصادرة أموالهم، وغزو القرى الإسلامية ونهب ما فيها، فكان هذا العمل بداية الجهاد وإعلان قيام الدولة الإسلامية،⁽⁸³⁾ وتحولت الدعوة الإصلاحية من المجال النظري إلى المجال العملي، ومن حالة السلم إلى حالة العنف و القوة.⁽⁸⁴⁾

-المواجهة:

في 04 جوان 1804 أغار حاكم غوبير على قرى الموحدين، وتقدمت قوات الجهاد بقيادة عبد الله بن فودي الذي أحلى غودو اتجه لبحيرة تابكين كوتو (Tabkin kwatto) شمال بلدة دجل، حيث أطبق المسلمون على خصومهم وهزمهم،⁽⁸⁵⁾ وفي 1805 عادت قوات المشركين وهزمت الشيخ عثمان في معركة تسونسو لكنهم صمدوا،⁽⁸⁶⁾ حيث في نفس السنة غزا الشيخ عثمان كبي (Kebbi) وأرسل ابنه محمد بللو (Bello)⁽⁸⁷⁾ إلى زعماء كاتسنا، دورا، زمفارة للتحالف معه فأقسموا له يمين الولاء، لكنهم سرعان ما نقضوا عهدهم خوفا على مراكزهم وقتلوا أنصار الشيخ عثمان فاشتعلت الحرب في المنطقة.⁽⁸⁸⁾

وأدرك الشيخ عثمان خطورة بقاء دولة بورنو قوية لذلك عمد لمحاربتهم و هزمهم في 1808م،⁽⁸⁹⁾ لكنهم استعانوا بالزعيم الديني محمد الأمين الكانمي⁽⁹⁰⁾ الذي نجح في طرد الفولاني الذين ظلوا يغيرون على بورنو حتى احتلوا الجزء الغربي منها ولكنهم لم ينجحوا في السيطرة عليها،⁽⁹¹⁾ وفي نفس السنة استولى الشيخ عثمان على الكلوة (Al kalawa) عاصمة غوبير فأرسل جيشا بقيادة ابنه محمد بللو نجح في قتل حاكمها (Yunfa) واحتلال المدينة فقويت شوكة الفولاني وذاع صيتهم،⁽⁹²⁾ وانتهت مقاومة الوثنيين وتوالى الالتفاف حول الشيخ عثمان وتوسعت امبراطورية الفولاني.⁽⁹³⁾ وفي سنة 1809 سقطت كانو وتحرك الشيخ عثمان نحو سو كوتو، وبذلك نجح في الاستيلاء على المراكز الهامة في أراضي الهوسا، ثم اتخذ من سو كوتو عاصمة لدولته،⁽⁹⁴⁾ وفي 1810م بلغ الجهاد ذروته وأخضعت معظم بلاد الهوسا.⁽⁹⁵⁾

4- بناء الدولة:

استمرت فترة الجهاد التي نظمها وأشرف عليها الشيخ عثمان بنفسه من سنة 1803 إلى 1810م⁽⁹⁶⁾ تمكن فيها من بسط نفوذه على بلاد الهوسا، وتأسيس دولة إسلامية قوية في شمال نيجيريا عاصمتها سو كوتو ترك قيادتها لابنه محمد بللو وأخيه عبد الله، مكثفيا بالزعامة الروحية ومركزا على الدعوة للإسلام وعاكفا على التصوف وتأليف الكتب.⁽⁹⁷⁾ فمئذ 1809م غادر الشيخ عثمان الحياة السياسية وتفرغ للعبادة، وكلف ابنه محمد بللو بإدارة الجزء الشرقي لدول الهوسا: كاتانا، دورا، كانو، رانو، زمفارة ووضع العاصمة سو كوتو في غوبير القديمة، وعيّن أخاه عبد الله بلقب الأمير على الجزء الغربي للبلاد غاندو (Gando)،⁽⁹⁸⁾ واشتمل الجزء الغربي على نوب (Nupe)، دندي (Dendi)، بورجو (Borgou)، إيلورين (Ilorin)، والمركز الرئيسي هو غاندو في إقليم كبي (Kebbi).⁽⁹⁹⁾

وامتدت فترة توطيد دعائم الدولة الإسلامية الجديدة في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية من سنة 1810 إلى 1817م،⁽¹⁰⁰⁾ تاريخ وفاة الشيخ عثمان، حيث وضع خلالها قاعدة الفكر السياسي موضع التنفيذ فدان بها

أبناءؤه من بعده، وهي أن الملك لمستحقه لا لوارثه، وأن الأمر شوري، ولم يكن للحكومة تدخل في القضاء، وكان القضاء ينفذون الشريعة الإسلامية.⁽¹⁰¹⁾ فقد اتخذت الخلافة الإسلامية في سوكوتو من الدولة العباسية نموذجاً في الحكم، وأقامت نظاماً فريداً من نوعه في غرب القارة استقى من كل النظم الإسلامية.⁽¹⁰²⁾

أقام نظام الحكومة الإسلامية حيث قسم دولته إلى ثلاثين إمارة طبقت الشريعة الإسلامية والقضاء الإسلامي على مذهب الإمام مالك، وأنشأ مناصب عربية كالوزير والقاضي والوالي والمحتسب وشيخ الإسلام والحاجب، ولُقّب بأمر المؤمنين وأبناءؤه بالخلفاء،⁽¹⁰³⁾ ومن الناحية الاقتصادية كان بيت المال، وله موارد ومصارفه، فالزكاة على التجارة والمحاصيل الزراعية تدفع لبيت المال، وكانت هناك جزية على غير المسلمين نظير إعفائهم من الخدمة العسكرية واستمتاعهم بالمرافق.⁽¹⁰⁴⁾

ورغم أن كل الإمارات كانت تدفع الجزية لسلطان سوكوتو، وأن الأمراء يسمون من طرفه إلا أنهم كانوا يتمتعون باستقلال على نطاق واسع، وهذا ما جعل الامبراطورية تعيش هدوءاً في المنطقة الوسطى رغم رفض بعض الإمارات حكم الفولاني مثل غوبير، كبي ونوب، وقيامها بهجمات متقطعة على إمارة غاندو.⁽¹⁰⁵⁾ وفي حدود 1850م كانت امبراطورية سوكوتو في أوج قوتها، تمتد على مسافة (1500 كم) من الغرب إلى الشرق بين ساي (Say) في النيجر وأداماوا (Adamaoua) بالكامرون، وعلى مسافة (600 كم) من الشمال إلى الجنوب بين حدود النيجر ونيجيريا.⁽¹⁰⁶⁾

- عوامل نجاح الشيخ عثمان في بسط نفوذه الديني والسياسي:

لقد لعبت شخصية الشيخ عثمان دوراً بارزاً في نجاح حركته الإصلاحية من خلال تكوينه العلمي وقدرته على تأطير المجتمع بالاعتماد على التربية الدينية وإعداد الجماهير من أتباعه وأبناء عشيرته للتغيير، فإلى جانب الدعوة بالإصلاح ركّز على العنصر القومي يث أفكاره في أوساط شعب الفولاني الذي تبناها وجسّدها في أرض الواقع من خلال عمليات الجهاد، ومن بين العوامل التي ساعدته مايلي:⁽¹⁰⁷⁾

- الاعتماد على الفولاني في تكوين امبراطوريته، وتعيين الكثير منهم كحكام على الأقاليم، وقوادٍ لجيشه.
 - اتسمت حكومته بالأمن أكثر من غيرها من الحكومات السابقة فانضم إليها الناس بكثرة، فكانت حركة شعبية.
 - إعلانه الجهاد ونجاحه في إثارة الحماس الديني لقواده من أجل نشر الإسلام وتصحيح العقيدة في شمال نيجيريا، فترتب على ذلك أن قلت الحروب بين المدن والأقاليم المختلفة مما أدى بدوره لانتعاش التجارة.
 - كانت حركته أشبه بثورة اجتماعية وتغييراً جماعياً، وثورة في الإدارة والقضاء والقانون وتعليم النساء.
 - مقدرته العلمية والإدارية حيث اجتمعت فيه صفات لم تجتمع في الكثير ممن سبقه أو تلاه في بلاد السودان، فكان أول داعية في إفريقيا قام بتغيير المنكر بالقلب واللسان ثم باليد، وشارك المجاهدين في حمل السلاح.⁽¹⁰⁸⁾
 - ضعف إمارة غوبير بسبب الصراع مع باقي الإمارات في القرن الثامن عشر، والطابع القبلي في بلاد الهوسا وانتشار الفساد مما جعل دعوة الشيخ عثمان تلقى تحابوا وإقبالا خاصة مع إحياء الثقافة العربية.⁽¹⁰⁹⁾
 - مظاهر التجديد والإصلاح في حركة الشيخ عثمان وآثارها في غرب إفريقيا:
- كانت حركة الشيخ عثمان الإصلاحية مظهراً من مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي التي عرفها العالم الإسلامي، فمنطقة غرب إفريقيا لم تكن بمعزل عن حركة التغيير التي بدأت في مختلف المناطق الإسلامية، فهي جزء من حركة الأفكار والتجديد التي عملت على الانتقال من حالة الفوضى والفساد السياسي والديني إلى حالة التنظيم وبناء دولة إسلامية متطورة بقيت لمدة قرن من الزمن.

- تميزت حركة الشيخ عثمان بإحداث تغيير جوهري في غرب إفريقيا جعلها نموذجاً يحاكي الخلافة الإسلامية من خلال إصلاحاتها، ومن أهم مظاهر التجديد والإصلاح مايلي: ⁽¹¹⁰⁾
- محاربة الوثنية والبدع والخرافات والانحرافات والمعتقدات الفاسدة كاعتقاد النفع والضرر في الأشجار، والأحجار والتنجيم حيث شن على أصحابها حملات شعواء أدت لتكفيرهم والإفتاء بقتالهم، وهذا يعكس صعوبة البيئة التي بدأ فيها حركته الإصلاحية.
 - أقام الشيخ عثمان في كل قرية مسجداً تحت إشراف معلم، وهذا يبين إدراكه لأهمية التعليم في البناء الحضاري خاصة وأنه من أنصار تعليم المرأة.
 - اعتبر اللغة العربية لغة رسمية وألزم من يتزعم حركة انتشار الإسلام بإجادة اللغة العربية، وهذا ما ساعد على انتشارها حيث كثرت المدارس والمعاهد التي تدرس باللغة العربية، لدرجة أن لغة الهوسا أصبحت تكتب بحروف عربية حتى غيرها الاستعمار إلى اللاتينية.
 - ظهرت حركة ثقافية فكرية في مجتمعات غرب إفريقيا شملت مختلف فروع العلوم، حتى قيل أن النصف الأول من القرن التاسع عشر يمثل العصر الذهبي بسبب الإنتاج الغزير للشيخ عثمان وأخيه عبد الله وابنه محمد بللو، واقتصرت الجهود العلمية فيما بعد على الشرح والتحليل والتعليق والترجمة.
 - وضعه لأسس قوية للدولة الإسلامية من خلال مختلف التنظيمات لدرجة أنها أدهشت البريطانيين لما احتلوا المنطقة سنة 1903، فاضطروا للإبقاء عليها، ولم يحاولوا التدخل في شؤون المسلمين، فعاثت حضارتهم وازدهرت.
 - مساهمته في توضيح وتقرير الشؤون السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية لدولته بتقديم النصح لكل من أخيه عبد الله وابنه محمد بللو، لينجحوا في تسيير المناطق التي يحكمونها، ويحلوا مشاكل السكان، كما ناقش الكثير من القضايا الدينية والأدبية والسياسية أثبت من خلالها سعة اطلاع، وأنه رجل دين ودولة. ⁽¹¹¹⁾
 - آثار حركة الشيخ عثمان في شمال نيجيريا ومنطقة غرب إفريقيا:
 - كان قيام حركة الشيخ عثمان في شمال نيجيريا تحدياً للأوضاع الدينية والسياسية السائدة، ولما نجحت ساهمت في تغيير ملامح الحياة الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية ليس في بلاد الهوسا فحسب، وإنما في كل غرب إفريقيا التي تأثرت بالنموذج الفودوي (نسبة إلى عثمان بين فودي)، وتكمن آثارها في: ⁽¹¹²⁾
 - غيرت حركة الشيخ عثمان الحياة السائدة في بلاد الهوسا، وأبرزت مجتمعا جديدا تحكمه طبقة من رجال الدين والعلماء ليست من أصول ملكية بل رفعهم الإسلام إلى مصاف الأمراء.
 - أخرجت البلاد من سيطرة الحكام المحليين إلى حكام بنمط جديد أساسه العلم والشرعية.
 - انتهت الحركة بتأسيس دولة إسلامية كبرى تضم أقاليم شاسعة في غرب إفريقيا في بلاد الهوسا، بورنو و كانم، جنوب كبي وإيلورين أي المنطقة الممتدة من بحيرة تشاد حتى منحني النيجر غربا، ومن الغابات الاستوائية جنوبا حتى الصحراء الكبرى شمالا.
 - صار الإسلام أساس النظام السياسي والاجتماعي، وتقلد رجال الدين والعلماء مناصب التدريس والقضاء، وانتشرت الثقافة الإسلامية وحضارتها إلى القبائل الوثنية التي بدأت تتخلص من العادات السيئة، وتحرر الزنج من الرق.
 - فُتت النظام القبلي تدريجيا وانخرط الناس في الدولة الإسلامية، أي تطور فكرة المواطنة.

- بدأ الناس يحتفلون بالمناسبات الإسلامية كعيد الفطر وعيد الأضحى والمولد النبوي، وحاول القضاء على العادات السيئة كالندب على الأموات، وأحل محلها قراءة القرآن والصلاة على المتوفى، وحرّم إشراك النساء في تشييع الجنازة، وأصبح المواليد يُسمون بأسماء الصحابة والأنبياء.

- أوجد الشيخ عثمان وأبناؤه نظاما ناجحا للحكم في شمال نيجيريا قبله السكان على مدار قرن من الزمان،⁽¹¹³⁾ وبقيت أفكاره تجري في ذريته، وبقيت التنظيمات في شمال نيجيريا وفق تقييد صارم بالشرعية الإسلامية مماثلة للتنظيمات التي وجدت في القرن التاسع عشر.⁽¹¹⁴⁾

- أعادت دعوته الإصلاحية أجواء الأمن والاستقرار ولمّ شمل المنطقة، حيث تجمعت تحت رايتها عدة ممالك من بلاد الهوسا، وصُبغت المنطقة بالطابع الإسلامي الذي لا يزال يميزها حتى اليوم مثل نيجيريا التي أصبحت أكبر دولة إسلامية في إفريقيا بفضل تلك الحركة الإصلاحية.⁽¹¹⁵⁾

- ملأ القطر المغاري معارفًا وتلاميذًا،⁽¹¹⁶⁾ وتخرج على يده أكثر من (100) عالم وفقه،⁽¹¹⁷⁾ وأصبحت مؤلفاته مصدر الفكر والإلهام الثقافي،⁽¹¹⁸⁾ وكان السبب في تأسيس العشرات والمئات من المساجد والمدارس والمعاهد والكتاتيب القرآنية، التي لعبت دورا رائدا في نهضة المجتمعات السودانية، وتطور حياتها وفكرها.⁽¹¹⁹⁾

- كانت حركته أشبه بثورة اجتماعية وتغيير جماعي، وثورة في الإدارة والقضاء والقانون وتعليم النساء.⁽¹²⁰⁾

- أثرت حركة الشيخ عثمان تأثيرا كبيرا على الغرب الإفريقي وعلى الزعماء الأفارقة فسعوا لتقليده، وتطلعوا لبناء دول وممالك على غرار مملكة الفولاني في منتصف القرن التاسع عشر، فنجح الحاج عمر الفوتي⁽¹²¹⁾ في تكوين إمبراطورية التكرور، ووجه جهوده لنشر الإسلام بين البمبارا الوثنيين،⁽¹²²⁾ كما تأثر بها أحمدو لوبو⁽¹²³⁾ في ماسينا واقتبس منها النظام الإداري والعسكري والديني، وحارب الوثنيين ومنع شرب الخمر،⁽¹²⁴⁾ كما استوحى منها ساموري توري⁽¹²⁵⁾ بطريقة مباشرة.⁽¹²⁶⁾

خاتمة

إن حركة الشيخ عثمان بين فوديو الإصلاحية تعكس الواقع الديني والسياسي الذي كان سائدا في غرب إفريقيا، وتبرز قدرة العلماء الأفارقة على مواجهة التحديات من بدع وخرافات وأفكار وثنية، وهي أصعب من التحديات التي واجهها العلماء المصلحون في باقي مناطق العالم الإسلامي، وهذا يدل على أن الإسلام في القارة السوداء كان بعيدا عن الانحطاط، كما أحيى فكرة الجهاد لإقامة الدين الإسلامي الصحيح، مؤسسا دولة إسلامية في مبادئها وتنظيماتها تحاكي نظام الخلافة لا تزال قائمة إلى اليوم، مما جعله رجل دين ودولة وفكر.

بقيت أفكاره الإصلاحية والجهادية تسري في عقبيه، ونجحت في إثارة الشعور الديني لدى الأفارقة في مواجهة الغزو الأوربي، وألهمت علماء غرب إفريقيا بتبني الفكر الإصلاحي وإقامة دول تحكم بالشرعية الإسلامية.

- 1- حاليا هي الجزء الشمالي لشمال نيجيريا، ينتمون لجنسيات مختلفة ولغتهم مشتركة هي الهوسا، تشكلت الهوسا من الهجرات الآتية من شمال إفريقيا إلى بلاد السودان الغربي، وهم زراع مهرة وتجار مغامرون ومحاربون أشداء، يقطنون الأقاليم الإسلامية في سوكونتو، كاتسينا، كانو، زازوا، وتسود أنظمتهم الاجتماعية و الاقتصادية كل نيجيريا. أنظر: عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، 1998، ص 133. وفيج: تاريخ غرب إفريقيا، تر: السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، 1982، ط 1، ص 31.
- 2- إلهام محمد علي ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1914)، دار الميراث للنشر، 1988، الرياض، ص 42.
- 3- فيج: تاريخ غرب إفريقيا، تر: السيد يوسف نصر، ط 1، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص 74.
- 4- نسبة إلى المدينة التي كانت عاصمة الدولة، أقدم دولة عرفت في غرب إفريقيا، يرجع ظهورها إلى القرن الأول الميلادي، أول امبراطورية ذات نفوذ إسلامي في العصر الوسيط، تقع جنوب شرق موريتانيا، غنية بالذهب، في 1056م دخلها الإسلام بواسطة المرابطين وبعد ذلك تفككت وضمها ملك الصوصو إلى دولته سنة 1203م. أنظر: محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، 2007، بيروت، ص 58-72.
- 5- ثاني أهم حواضر السودان الغربي بعد تمبوكتو، تقع إلى الجنوب الغربي من تمبوكتو على أحد روافد نهر النيجر، تمتد من مدينة ساي حتى بحيرة ديبو، بناها برابرة صنهاجة لتكون ملتقى لتجار الملح والذهب. أنظر: محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، دار الكتاب العربي، 2007، الجزائر، ج 1، ص 41.
- 6- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، 1998، القاهرة، ص 5-6.
- 7- نفسه: ص 12.
- 8- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 42.
- 9- فيج: المرجع السابق، ص 76.
- 10- ظهرت مملكة سنغاي في القرن الحادي عشر ميلادي واتخذت من مدينة "غاو" عاصمة لها سنة 1010م، وبرزت كقوة كبرى خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ميلاديين، سقطت على يد المغاربة بعد أن وجه المنصور حملة إليها سنة 1591م.
- 11- تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر، و إلى الجنوب الشرقي لتمبوكتو على بعد (440 كم)، أهلها مسلمون وهي أكثر بلاد السودان ذهابا، عاصمة دولة سنغاي. أنظر: محمد الصالح حوتية: المرجع السابق، ص 42.
- 12- تقع على الحافة الجنوبية للصحرى الكبرى على منحى نهر النيجر وتبعد عنه بآني عشر ميلا، يعود تأسيسها إلى قبائل الطوارق حوالي 948هـ الموافق لـ 1087م. أنظر: محمد الصالح حوتية: نفسه، ص 40-41.
- 13 - Robert CORNEVIN: Histoire de l'Afrique, l'Afrique précoloniale (1500-1900), Payot, 1966, Paris, t2, p 235-236.
- 14- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 131.
- 15- فيج: المرجع السابق، ص 76.
- 16- الفولاني شعب قليل السواد عن زواج غرب إفريقيا، يقطن المنطقة الممتدة من أعالي النيجر حتى نهر السنغال، بعضهم متنقل يعتمد الرعي كحرفة أساسية و البعض مستقر، لهم نفوذ وجاه خاصة في نيجيريا الشمالية، يرى البعض أنهم هاجروا من الشمال وانتشروا في السودان الغربي وعاشوا في دولة مالي وانتقلت جماعة منهم إلى بلاد الهوسا في القرن الثامن عشر، في 1810م شمل نفوذهم إمارات الهوسا وأسسوا دولة في غرب إفريقيا بقيت لمدة قرن إلى أن أسقطها الاستعمار البريطاني، وهي الدولة التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي. أنظر: فيج: المرجع السابق، ص 30. وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 1-19.
- 17 - Robert CORNEVIN: opcit, p 238.
- 18- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، 2007، بيروت، ص 150.
- 19- نفسه: ص 188.
- 20- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 135.
- 21- قرية تقع في الشمال الغربي لإمارة غوبر، وهي أيضا اسم ملك غوبر الثاني والسبعين. أنظر عثمان بن فودي: فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن و الظواهر، تحقيق و تعليق سيني موموني وسالو الحسن، 2012, LYON, Ens éditions, ص 7.

- 22- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 188.
- 23- يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار البصائر للنشر و التوزيع، 2008، الجزائر، ص 118.
- 24- عثمان بن فودي: فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن و الظواهر، تحقيق وتعليق سيني موموني وسالو الحسن، 2012، Ens éditions, LYON، ص 7.
- 25- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 188.
- 26- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 118.
- 27- مدينة مسورة للسود بناها الملوك المحدثون في ليبيا، أجي من مدن البيض باستثناء "ولاتة"، دورها متقنة البناء على نمط دور بلاد البربر، يعمل أهلها صناعا أو جنودا لملك المدينة وفي الجنوب رعاةً للماعز والأبقار. أنظر: الحسن بن محمد الوزان: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، لبنان، ج 2، ط 2، ص 171-172.
- 28- عبد القادر زبادية: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، بدون تاريخ، الجزائر، ص 78.
- 29- عثمان بن فودي: المرجع السابق، ص 7.
- 30- تنسب للصوفي عبد القادر الجيلاني (471هـ/1078-561هـ/1166م)، والجيلاني نسبة إلى جيلان التي ولد بها وهي تقع إلى الجنوب من بحر قزوين، تعلم القفه و الحديث وبدأ في الوعظ والإرشاد في سن الخامسة عشرة حتى اتسعت سمعته وظهرت طريقته، من أهم مؤلفاته (الغنية لطالبي الحق)، توفي ببغداد وانتشرت القادرية في كل البلاد الإسلامية خاصة المغرب العربي و لها دور كبير في انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء. أنظر: عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 229-231.
- 31- فقيه، مفسر، ومتكلم ولد في مغيلة لقبيلة بربرية بأحواز تلمسان، ناوأ اليهود في توات وكانت له معهم مشاحنات أدت لقتالهم وهدم كنائسهم، زار بلاد السودان يشرح أحكام الشرع ويحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وراسل علماءها، له عدة مؤلفات منها: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، والبدر المنير في علوم التفسير و غيرها، يقول عنه يحي بوعزيز أنه تنبأ بخطر اليهود و مكرهم على المجتمعات الإسلامية كالجائر وتونس والمغرب فيما بعد من خلال تنفذهم في توات، كما تنبأ بما يحدث في فلسطين والمشرق العربي، اتصل بالأسقيا محمد الطوري أمير مملكة سنغاي 1502م الذي قدم له سبعة أسئلة موسعة وطلب منه أجوبتها لإصلاح شؤون إمارته، توفي بتوات في 909 هـ/1503م. أنظر: عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1980، بيروت، لبنان، ط 2، ص 308. و يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 71-72-86.
- 32- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 31-32.
- 33- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 197.
- 34- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 45.
- 35- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 144.
- 36- نفسه: ص 144.
- 37- عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 82.
- 38- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 174.
- 39- من أقاليم بلاد السودان خاضع لإمارة غوبير، يقع شرق إمارة كانو، تسكنه شعوب بدائية، غني الحب والأرز والقطن، أهله سود، زارره الشيخ عثمان وأقام به خمس سنوات يدعو الناس إلى الإسلام. أنظر: الحسن بن محمد الوزان: المرجع السابق، ج 2، ص 174. ويحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 119.
- 40- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 117.
- 41- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 133.
- 42- نفسه: ص 13.
- 43- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 36.
- 44- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 131.

- 45- نفسه: ص 134.
- 46- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 37.
- 47- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 13.
- 48- نفسه: ص 141.
- 49- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 42.
- 50- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 135.
- 51- محمد توري أحد القواد العسكريين في جيش علي الأكبر ملك سنغاي، تولى الحكم سنة 1493 بعد وفاة علي الأكبر وضعف وريثه وتسمى بالأسقيا، بلغت مملكة سنغاي في عهده أعلى مراتب مجدها بتنظيم عالٍ متخذاً من الشريعة الإسلامية نظاماً للحكم و منهاجا لحياة القبائل والشعوب المنضوية تحت لواء المملكة، توفي سنة 1537 و كان موته علامة لبداية نهاية مملكة سنغاي، في 1502 اتصل به محمد بن عبد الكريم المغيلي وقدم له سبعة أسئلة موسعة وطلب من أن يجيبه عليها بالتفصيل لكي يطبقها. أنظر: جوان جوزيف: الإسلام في ممالك وامبراطوريات إفريقيا السوداء، تر: مختار السويفي، دار الكتاب المصري، 1984، القاهرة، ط1، ص 75. ويحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 86.
- 52 - Robert CORNEVIN: opcit, p 247.
- 53- فيح: المرجع السابق، ص 289.
- 54- محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 197-198.
- 55- نفسه: ص 190.
- 56- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 119.
- 57- أخ الشيخ عثمان بن فودي، ولد في منطقة غوبير 1766م، حفظ القرآن الكريم، لازم أخاه مدة أربعين سنة، كان وزيره وقاد معظم الحملات العسكرية، عين كمشراف على القسم الغربي لمملكة سوكونتو، توفي حوالي 1830م، له عدة مؤلفات منها: ألفية الأصول-بحر المحيط في النحو-تزيين الورقات-تفسير ضياء التأويل-سبيل النجاة-ضياء السياسة-مفتاح التفسير. أنظر: هارون إبراهيم كلو: الشيخ عبد الله بن فودي ومساهمته في علم مصطلح الحديث، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، ع2، 2011، ص 2. وعبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 83-85.
- 58- نفسه: ص 119.
- 59- عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 78-79.
- 60- محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 190.
- 61- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 120.
- 62- نفسه: ص 169.
- 63- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 42.
- 64- محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 197.
- 65- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 135.
- 66- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 171.
- 67- نفسه: ص 121.
- 68- عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 79.
- 69- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 135. ويحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 121.
- 70- نفسه: ص 136.
- 71- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 41.
- 72- نفسه: ص 42-43.
- 73- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 136.
- 74- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 121-122.
- 75- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 138-139.
- 76- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 122. وعبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 80.

- 77- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 192.
- 78 – Robert CORNEVIN: opcit, p 246.
- 79- عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 80-81.
- 80- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 191.
- 81 – Robert CORNEVIN: opcit, p 247.
- 82- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 191.
- 83- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 138.
- 84- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 172.
- 85- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 139.
- 86- نفسه: ص 139.
- 87- ابن الشيخ عثمان وخليفته من بعده، رافق والده في حركته الإصلاحية والجهادية، كلف بإدارة الجزء الشرقي لدولة سوكوتو، مارس التأليف على غرار أبيه وعمه فكتب: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور-مجموعة الرسائل. استمر في الحكم حتى وفاته سنة 1838. أنظر: يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 176-177. وعبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 86.
- 88- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 43.
- 89- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 193.
- 90- ينحدر من عائلة ملكية حكمت منطقة كانم في بورنو منذ عام 1000م، نشأ في كانم قرب بحيرة تشاد، درس على علماء بلده والأزهر بمصر والقدس ثم مكة والمدينة، كما زار طرابلس والقيروان وتلمسان وفاس، ولما عاد لبلاده عمل على تثقيف الناس فذاع صيته، اصطدم بالشيخ عثمان بن فودي الذي توسع في بورنو وأنكر جهاده، و في 1824 تحسنت العلاقات بين الكانفي ومحمد بللو الذي اعترف بسلطة الكانفي على بورنو مقابل اعتراف الأخير بشرعية جهاد آل فودي، وفي 1835 توفي محمد الأمين الكانفي. أنظر: يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 148-149. وعبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 102-104.
- 91- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 44.
- 92- نفسه: ص 43.
- 93- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 139.
- 94- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 43.
- 95- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 193.
- 96- عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 81.
- 97- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 194.
- 98- Robert CORNEVIN: opcit, p 248.
- 99- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 44.
- 100- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 122.
- 101- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 45.
- 102- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 146.
- 103- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 195.
- 104- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 45.
- 105- Robert CORNEVIN: opcit, p 249.
- 106 – ibidem, p 248.
- 107- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 44-45.
- 108- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 196-197.
- 109- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 140.

- 110- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 195-196.
- 111- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 173.
- 112- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 142-143.
- 113- نفسه: ص 88.
- 114 – Robert CORNEVIN: opcit, p 249.
- 115- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 196.
- 116- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 135.
- 117- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 197.
- 118- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 146.
- 119- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 174.
- 120- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 45.
- 121- الحاج عمر الفوتي التيجاني (1791-1864) ينسب إلى منطقة فوتا في شمال السنغال حاليا، حفظ القرآن وتعلم مبادئ الدين، سنة 1822 تلقى دروس الصوفية التيجانية، حج سنة 1824 ولما عاد بدأ في نشر الدعوة التيجانية، سافر إلى سوكونو وبقي فيها لسنوات ثم لفوتا، اشترى قرية في دينقيراي واتخذها قلعة عسكرية وبدأ حركته الجهادية سنة 1854، قضى على دولة سيقو الوثنية 1854 واحتل ماسينا (بمالي حاليا) سنة 1862، وفشل في إخضاع تمبكتو. أنظر: عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص ص 93-96.
- 122- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 45.
- 123- أحمد لوبو الماسيني (1775-1844) ولد بمدينة ماسينا شمال جنى، حفظ القرآن وتفقه في الدين، دعا لنيل الخرافات والعادات الوثنية ولما عارضه حكام ماسينا هاجر إلى منطقة تدعى (روندي سيرو) بالقرب من جنى، وأعلن الجهاد ضد أمراء البامبارا المنحرفين عن الإسلام، وسرعان ما سيطر على جنى وماسينا، في 1815 أسس مدينة حمد الله على ضفة نهر النيجر الشرقية كعاصمة له، تأثر بحركة عثمان بن فودي وأقام علاقات وطيدة مع ابنه محمد بللو. أنظر: عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص ص 89-92.
- 124- نفسه: ص 46.
- 125- ولد سنة 1835 في وادي الباولي بمنطقة بيسانودجو، درس العلوم الإسلامية وتنقل بين بلدان الغرب الإفريقي، دعا لإقامة دولة إسلامية في غينيا، سيراليون، ساحل العاج، ليبيريا و فولتا العليا، تمركز في بيسانودجو كعاصمة له، كان يسير دولته باللغة العربية، طبق الإسلام وبنى المساجد و قسم البلاد إلى ولايات، حارب الفرنسيين لمدة (16) سنة إلى أن أسر سنة 1898 حتى وفاته سنة 1900م. أنظر: يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 141.
- وعبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص ص 65-66.
- 126 – Robert CORNEVIN: opcit, p 250.